

قد رَسَّاهُ قَدْ سَمِعَ

بشرح المهندس علاء حامد

تلخيصات قد سمع
المستوى الأول

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد، أهلاً ومرحباً بكم بدورة جديدة ولقاء جديد وفضل من الله جديد. نبدأ هذه المدارس الممتعة للجزء الثامن والعشرين من أجزاء القرآن، المعروف بجزء "قد سمع" أو جزء "المجادلة".

مكانة جزء "قد سمع" :

يُشاع بين عامة الناس أن هذا الجزء صعب بسبب وجود سور مثل: المجادلة، الممتحنة، الطلاق، التحريم، التغابن.

وفيه العقائد والأحكام والتربويات هو جزء يرقق القلب ويعمق الإيمان.

تسمية السورة والجزء :

سورة المجادلة تبدأ بـ:

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ}.

لذلك سُمِّيَ الجزء كله بـ"قد سمع"، كما سُمِّيَ الجزء الذي بدأ بـ"تبارك" بإسم أول سورة فيه، على عادة السلف.

■ للسورة عدة أسماء: **المُجَادِلَة** على اعتبار الجدل الذي حصل بين المرأة والنبي صلى الله عليه وسلم، **المُجَادِلَة** على حال (صفة) المرأة وهي **خولة بنت ثعلبة** التي جادلت النبي صلى الله عليه وسلم، وتسمى **قد سمع**، وتسمى سورة **الظهار**.

■ وهي سورة **مدنية** باتفاق المفسرين.

من خصائص هذا الجزء:

تكريم المرأة في الإسلام وهو الخيط الجامع في كثير من سور هذا الجزء، بعد أن كانت لاشيء في الجاهلية. فصار لها أحكام وشأن، وغضب الله لها وأنزل لها أحكامًا شديدة على الرجل إذا استهان بحقها ومثال ذلك:

في سورة **المجادلة**: بدء السورة بشكوى امرأة إلى الله.

في سورة **الممتحنة**: مشهد مبايعة النساء.

في سورة **الطلاق**: بيان حقوق المرأة في حال الطلاق.

في سورة **التحريم**: ضرب المثل بالنساء الصالحات مثل امرأة فرعون ومريم بنت عمران.

موضوعات سورة المجادلة :

قصة المرأة المجادلة، وأحكام الظهار وما يترتب عليه، والكفارة.
الحديث عن أحوال المنافقين وموالاتهم لليهود.

آداب متعلقة بمجلس النبي ﷺ، ومنها

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا..}

وآداب في معاملة النبي عليه الصلاة والسلام ومناجاته.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوِكُمْ صَدَقَةٌ...}

الثناء على المؤمنين الذين تبرؤوا من المشركين واليهود، وبيان أن حزب الله هم المفلحون.

(الآية 1) :

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

بَصِيرٌ}

{قَدْ سَمِعَ}

"قد" هنا تفيد التحقيق والتوكيد. أي أن الله تعالى قد سمع يقيناً قول المرأة.

هذا دليل على عناية الله بشكوى امرأة ضعيفة، ورفع شأنها حتى خلد ذكرها بالقرآن.

من هي المرأة المجادلة؟

هي خولة بنت ثعلبة، وزوجها أوس بن الصامت أخو الصحابي عبادة بن الصامت رضي الله عنهما
وكلهم من الأنصار وقد عاشت مع زوجها منذ صغرها.

في أحد المواقف تروي خولة بنت ثعلبة عن نفسها فتقول:

"نزلت فيَّ والله وفي أوس بن الصامت صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً
قد ساء خلقه، فدخل علي يوماً فراجعته بشيء أي ناقشته فيه فغضب وقال: "أنت علي كظهر أمي"،
ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي، قالت قلت: كلا والذي
نفس خويلة بيده لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه. قالت:

فواثبني فامتنعت منه، فغلبته بما تغلبُ به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني، ثم خرجت إلى بعض
جاراتي فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرت له ما
لقيت منه، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه". فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: "يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير فاتقِ الله فيه".

قالت: والله ما برحت حتى نزل فيَّ القرآن، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه

(تقصد الوحي) قالت ثم سرّني عنه ﷺ، فقال لي: يا خويلة

"قد أنزل الله فيك وفي صاحبك" ثم قرأ علي: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا..} إلى قوله {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (الآيات من 1-4)

فقال النبي ﷺ: مُريه فليعتق يعتق رقبة، قالت: يا رسول الله ما عنده ما يعتق. فقال رسول الله ﷺ: "فليصم شهرين متتابعين". قالت: يا رسول الله: إنه شيخ كبير مابه من صوم. قالت: قال رسول الله ﷺ: "فليطعم ستين مسكيناً". قالت فقلت: يا رسول الله ما ذاك عنده. قال رسول الله ﷺ: "إنا سنعينك بوسق من تمر". قالت: يا رسول الله وأنا سأعينه بوسق آخر. قال ﷺ: "قد أصبت وأحسن فتصديقي به عنه. ثم استوصي بابن عمك خيرًا". قالت: ففعلت.

الظهار، الحكم الشرعي، وكفارة الظهار:
تعريف الظهار:

أن يقول الرجل لزوجته: "أنت علي كظهر أمي" أو يشبهها بأي عضو من أعضاء المحرمات تحريمًا مؤبدًا (الأم، الأخت، العمّة، الخالة)، أو جزء منها يحرم عليه النظر إليه، فلو قال: أنت علي كبطن أمي، أو قال أنت علي كفخذ أختي، فبهذا اللفظ حُرمت عليه ويقع الظهار. كان الظهار وفي الجاهلية يُعتبر طلاقًا لا رجعة فيه.

في رواية أخرى أنه كان جدال بين النبي ﷺ وخولة لما حكت خولة الموقف للنبي ﷺ كما حصل. فكان رد النبي ﷺ أولًا: "يا خولة ما أراك إلا قد حرمت عليه"،

لأنه لم يكن قد نزل حكم الظهار بعد، وكان يعتبر طلاق في ذلك الوقت لذلك امتنعت منه، حتى تتأكد وتسأل النبي صلى الله عليه وسلم.

يستفاد من ذلك وجوب معرفة أحكام الدين قبل الإقدام على أي قول أو فعل، حتى لا يقع المسلم في محذور شرعي، وضرورة التحاكم لشرع الله في جميع المعاملات الأسرية والاجتماعية والمالية، لأنه الحكم العادل.

ويستفاد أيضًا أهمية وضرورة الحياء والعفة والخروج باللباس الشرعي عند نساء المسلمين: فخولة رضي الله عنها خرجت إلى النبي ﷺ بعد أن استعارت ثيابًا من جارتها، محافظة على سترها وحيائها وحجابها، وهذا للأسف عكس واقع بعض النساء اليوم ممن قد يخرجن أو يقفن في الشرفات بملابس البيت دون اكتراث وحياء.

نكمل القصة في الرواية الأخرى والجدال:

فقالت للنبي ﷺ: "يا رسول الله، إن أوسًا قد تزوجني وأنا شابة مرغوب في، فلما كبرت ومات أهلي قال لي: أنت علي كظهر أمي" وكانت لي منه صبية صغار، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا."

فأرادت أن تراعي مصلحة بيتها وأولادها، لا أن تُخرب بيتها.

فرد عليها ﷺ "ما أراك إلا قد حرمت عليه."

لكنها أصرت، وقالت: يا رسول الله لا تفعل، فإني وحيدة ليس لي أهل سواه."

كانت تجادل وتراجع في الكلام، لذلك سميت "المجادلة والمجادلة"

لما لم تجد عند النبي ﷺ حكمًا جديدًا، لجأت إلى الله مسبب الأسباب، فقالت: "اللهم إني أشكو

إليك حالي، وانفرادي، وفقري".

فوقعت كلماتها موقعًا عظيمًا في السماء، حتى نزل جبريل بالوحي على النبي ﷺ متلبسًا إياه كالوحي

الذي يكون كالصلصلة، وهي أصعب أنواع الوحي التي تكون على النبي ﷺ، معلنا الحكم الجديد

وهو أبطال الظهار.

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ... وَاللَّهُ يَسْمَعُ... إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}

فيه إثبات صفة السمع

سمع حقيقي لله سبحانه وتعالى..

تقول عائشة رضي الله عنها: "سبحان من وسع سمعه الأصوات، لقد كنت في الحجرة التي كانت

فيها المجادلة، أسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه، ومع ذلك سمع الله شكواها من فوق سبع

سماوات"

موقف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته مع خولة بنت ثعلبة:

كان ماشيًا في موكب ضخّم فيه رجالات الدولة وبينما هو يمشي إذ نادته عليه امرأة قالت: يا عمر،

فأوقف رضي الله عنه الموكب ونزل عن فرسه، وذهب إليها ووقف معها وأطال حتى ملّ من هم

في الموكب، فلما رجع لهم قالوا: يا عمر تركت الرجال وتركك الناس من أجل امرأة؟!!

قال عمر رضي الله عنه:

" أما تدرون من هذه المرأة؟

" إنها خولة بنت ثعلبة امرأة سمع الله شكاوها من فوق سبع سماوات والله لو وقفت مع عمر إلى آخر الليل لوقف معها عمر.

{ تَجَدِّدُكَ فِي رَوْحِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ }

المُجَادَلَةُ: الحوار الذي فيه مراجعة وأخذ ورد واحتجاج.

ما أحسن شكوى هذه المرأة رغم وقوفها بين يدي نبي الله صلى الله عليه وسلم إلا إنها لما انقطعت بها الأسباب لجأت لله عز وجل وحده وأحسنّت في شكاوها إليه.

المشكلة قد تكون بسيطة، لكن الحل الحقيقي أن تعرف كيف ترفع شكاوك إلى الله وهذه هي الشكوى الحقيقية.

أن الله قريب سميع مجيب، يغير الأقدار ويحلّ أعقد المشاكل من أحسن الشكوى إلى الله فرج الله همه.

نماذج من حسن الشكوى إلى الله :

عائشة لما اتهمت في عرضها قالت:

{ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ }

فجاءت براءتها من فوق سبع سماوات.

شكوى يعقوب عليه السلام: قال

{ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ }

فانفرجت كربته واجتمع أهله وعاد إليه بصره.

شكوى النبي ﷺ بعد الطائف لما دعا قائلاً:

"اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس أنت رب المستضعفين، وأنت

ربي إلى من تكلمي؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي،

ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة

أن ينزل بي غضبك أو يحلّ عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك".

فلما اشتكى إلى الله، كان الفرّج بعدها بالإسراء والمعراج، ثم لقاء الأنصار وإسلامهم ثم بيعة العقبة

والهجرة وبداية التمكين.

ثبت عقيدتك، فالشكوى إلى غير الله من المقبورين أو الأولياء لا تنفع، قال تعالى: {إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ} وقال النبي ﷺ: "من أصابته فاقة، فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله يوشك الله أن يرزقه عاجلاً أو آجلاً" (حديث حسن).

إذا انقطعت الأسباب، لا تيأس؛ الله يسمع الشكوى ويملك الفرج. مهما تكلمنا إلى الناس فهناك أمور لا تُقال للبشر، ولا يطمئن القلب إلا حين تُرفع إلى الله وتعود أن تقول إلى الله المشتكى. من تعلق بالله فُتحت له أبواب خاصة من رحمته. "إياك من ليس له إلا الله"، إياك أن تظلم من ليس له إلا الله، فإن دعاءه عظيم عند الله. من تعلق بالله ومن انقطعت أسبابه وتوجه إلى الله، فُتحت له أبواب رحمة خاصة. لا تشتك للناس وتنسى الدعاء، فالنبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}.

الله يسمع شكواك، ويبصر حالك، فلا تُضَيِّع قلبك بين الناس، بل اجعل ملجأك الأول والأخير إليه وعلق قلبك بالله.

الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله:

نتعلم من خولة رضي الله عنها التوسط بين الشريعة والعقيدة والجمع بين الأمرين؛ اعتمدت رضي الله عنها على *الشريعة*، فأخذت بالأسباب وذهبت إلى النبي ﷺ تراجعته وتجالسه ولم تقصر، وفي الوقت نفسه اعتمدت على *العقيدة*، وعلقت قلبها بالله وحده فرفعت شكواها إلى الله. وهذا يبين أن التوكل الحق لا يعني ترك العمل، بل الجمع بين بذل الأسباب مع بقاء القلب معلقاً بالله.

إذا انقطعت الأسباب، كان اللجوء إلى الله هو الباب الأعظم للفرج. التوكل على الله لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب. من الفوائد أحياناً أنك تحتاج في مشكلتك إلى ناصح حكيم خبير متجرد من الأهواء.

قال تعالى:

{فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا}

فمن الخطأ أن تلجأ لصديقة حاقدة أو قريبة متعصبة فتزيد المشكلة.

كثيراً ما تُخرب البيوت بسبب اختيار خاطئ للناصح الغير مؤهل.

عندما أوشك البيت أن ينهدم ضجت السماوات العلى، لذلك يجب المحاولة للحفاظ على البيت وعدم هدمه.

التعجل في الطلاق وآثاره

بعض الرجال خفيف العقل، يتلاعب بالطلاق في كل صغيرة وكبيرة كأن يقول: علي الطلاق لو فعلت كذا... وهذا سفه.

وبعض النساء كل مشكلة عندهن مبرر لطلب الطلاق، وقد قال النبي ﷺ:

"أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة".

وعليه لا أحد كامل، ومن كره من زوجه خُلِقاً رضي منه آخر.

يجب أن نحل المشكلة طالما هناك مخرج وحل.

يجوز للزوجة أن تساعد وتحل ماتقدر عليه.

الصلح والتقاضي في العلاقات:

جلسات الصلح مبنية على التغافل والتسامح والتنازلات وليس على أخذ الحقوق كاملة.

أما التقاضي فمبني على العدل وأخذ الحقوق وقد يلزم ذهاب الأطراف إلى المحكمة لأخذ الحقوق.

وهذا مثال واقعي في عهد النبي ﷺ على الصلح فعندما نصح خولة لم يركز على من المخطئ، بل

على ما يمكن أن يحل المشكلة.

وحتى في الكفارة شاركت رضي الله عنها في دفعها، رغم أنها المظلومة، لتستمر الحياة الزوجية،

ويجوز للمرأة أن تعين زوجها في الكفارة المالية.

تكریم الإسلام للمرأة:

من جمال هذا المشهد أكرام الإسلام المرأة وتحريم أن تُعامل كاللعبة أو تُحرّم على الرجل بكلمة

غضب.

فلم يعد الظهار عادة مقبولة كما في الجاهلية، بل صار منكراً له كفارة، ليحفظ الله للمرأة كرامتها ومكانتها ويجبر الرجل على التآني.

(الآية 2):

{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَأِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ}.

بماذا يقع الظهار :

يقع الظهار بأن يقول الرجل لزوجته ما يشبهها بامرأة محرمة عليه مؤبداً، مثل قول "أنتِ علي كظهر أمي" أو "أنتِ علي كأمي"، أو بجزء منها محرم عليه النظر إليه كالظهر أو البطن أو الفخذ. ومن ظاهر عليه التوبة ، أما الكفارة فهي لرجوع الحياة الزوجية.

{وَأِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا}

حكم الظهار:

حرام ومنكر وزور، لأنه تحريم لما أحل الله وظلم للمرأة، والآية جمعت بين الوعيد والتعنيف ثم فتحت باب التوبة والعفو. {وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ}.

منهج القرآن في معالجة الظهار أو أي إساءة:

التعنيف أولاً: بيان أن القول منكر وحرام.

ثم التمهيد للحل: ذكر الكفارة التي تتيح للزوج العودة كما في الظهار، أو الحل المتاح حسب الحالة.

النية وأثرها في الظهار :

إذا قال الرجل لزوجته: "أشعر أنك مثل أمي" في حنانها عليه مثلاً، أو ناداها بـ"يا ماما" من غير قصد الظهار، لا يقع الظهار، لقول النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات". مع ذلك، الأفضل ترك هذه الألفاظ تماماً لئلا يلتبس الأمر والله قد يعفو عن ذلك.

(الآية 3):

{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}

{ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا}

يعزمون على الجماع أو مقدماته بعد وقوع حكم الظهار.

{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}

قديمًا الأصل أن يحرر عبدًا أو أمة لوجه الله، وهذا الحكم غير موجود حاليًا.

{مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَا}

اختلف العلماء هل المقصود هنا الجماع فقط أم مقدمات الجماع ؟
بعض أهل العلم قال أن الممنوع منه هو الجماع، أما مقدمات الجماع فهو غير ممنوع منها.
وبعض العلماء قال أنه ممنوع من الجماع ومقدمات الجماع كالقبلة والمباشرة.. وهو الأقرب والأحوط،

لرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما:

"أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم قد ظاهَرَ مِنْ امرأته، فَوَقَعَ عليها، فقال: يا رسول الله، إني قد ظَاهَرْتُ مِنْ رَوْجَتِي، فَوَقَعْتُ عليها قَبْلَ أَنْ أَكْفِّرَ، فقال: وما حَمَلَكَ على ذلك يرحمك الله؟، قال: رَأَيْتُ خَلْجَالَهَا فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ، قال: فَلَا تَقْرَبْهَا حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ"
وذلك من تمام العقوبة، أن يكفر عن الذنب أولاً.

إِذَا ضَوَابِطُ الْكَفَّارَةِ:

واجبة قبل أن يقارب الزوج زوجته، فمن جامع قبل التكفير آثم وفعل فعلاً محرماً، ولا يعتبر زناً، لأنها زوجته، ولا يحتاج كفارة ثانية، فقط تبقى عليه الكفارة مع التوبة.

{ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ}

الوعظ: هو الكلام الذي فيه ترهيب وترغيب.

{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}

فلا يصح أن يتحايل الإنسان على أحكام الشرع؛ كأن يطلب الفتوى من غير أهلها، أو يغيّر في حقيقة الواقعة ليخفف الحكم عنه، أو يروي القصة بوجه آخر، أو يكذب ويتساهل، أو حتى يكتّم الطلاق طلباً لحكم يوافق هواه، الأحكام تُبنى على الصدق والأمانة، والله يعلم خفايا النيات.
(الآية 4):

{فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

وهي على الترتيب لا على التخيير، فالبديل إذا لم يجد رقبة هو صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا شهران هجريان متتاليان.

أحكام خاصة بصيام الكفارة:

من أفطر يوماً منها بلا عذر، لزمه أن يبدأ الصيام من جديد.

أما إذا أفطر لعذر كمرض أو سفر، فيتوقف ثم يكمل بعد زوال العذر.

إذا وافق صيام الكفارة شهر رمضان، فالأولى أن يضبط شهرين بعيدين عن رمضان، فإن وقع رمضان في أثنائها صام رمضان، ثم أفطر يوم العيد، ويستأنف إكمال ما بقي من الكفارة ابتداءً من اليوم الثاني من شوال.

ولا يباشر زوجته إلا بعد إتمام الكفارة.

{فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ}

الأصل أن الصوم عبادة معتادة للمسلم، قد تعودها خلال رمضان.

من كان صحيح البدن قادراً على الانضباط، فعليه الصيام، وإن احتاج إلى صبر! لأنها عقوبة.

الأصل أن صيام شهرين متتابعين ليس صعباً بل هو واجب. من صام رمضان سابقاً يستطيع صيام الكفارة،

ومن لم يصم رمضان لكبر أو عجز أو عذر جائز لا يصم الكفارة، وينتقل للحل الثالث وهو إطعام ستين مسكين.

{فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا}

المسكين هو الفقير الذي لا يجد ما يسد حاجته.

صفة الإطعام تكون:

إما وجبات كاملة لستين مسكيناً من وسط أكل الناس فيعمل 60 وجبة ويطعم 60 مسكين.

أو نصف صاع من بقوليات كالرز أو عدس والله أعلم (نحو 1.25 كجم تقريباً من قوت البلد) لكل مسكين.

لا يجوز إطعام مسكين واحد 60 مرة، بل لا بد من ستين شخصاً مختلفين.

فجعل الله الصيام المرحلة الثانية بعد العتق، لأنه أشد على النفس من الإطعام، لكنه أيسر من العتق الذي قد لا يستطيع كثير من الناس القيام به.

{ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

الإشارة إلى أن الامتثال للأحكام اختبار للإيمان، لأن الأحكام فيها شدة، خاصة إذا خالفت الهوى أو ثقلت على النفس.

الإيمان يظهر في مخالفة الهوى لا في اتباع ما يوافق النفس.

مثال: الصلاة محبوبة، لكن الحجاب أو ترك المحرمات يكشف حقيقة الإيمان.

{وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

يكفر بالله من أعترض على حكم الله أو رفضه أو لم يرضَ به، فقد عرّض نفسه للكفر.
(الآية 5):

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ}

{يُحَادُّونَ}

أي يجعلون أنفسهم في حدّ وعداء مقابل لحد الله ودينه.
ومثلها: "يشاق" أي في شقّ آخر غير شق الدين.
ومثلها: "يعادي" من العدوّة.
أي أنه بينه وبين دين الله مسافة.

{كُبِتُوا}

أي أهينوا وأذّلّوا ولم يصلوا لمرادهم أو مقصدهم.
معنى الكبت: عدم الوصول للمراد.

وحتى لو قتل الكافر المؤمن، فإن ثبات هذا المؤمن حتى الموت يُفشّل غاية الكافر.
الغاية الحقيقية للكافر: إخراج المؤمن من دينه قال تعالى:

{وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ}

فالغاية هي أن ترد.

الكافر يظل مكبوتاً طالما ثبت المؤمن على دينه، حتى لو تعرّض المؤمن للقتل أو العذاب.
أمثلة ذلك من القرآن

مؤمن آل ياسين: قُتل ثابتاً على دينه كُبت قومه فدخل الجنة وانتقم من قومه.
الغلام والساحر: مات ثابتاً كُبت الملك، وآمن الناس من أهل القرية فقبضت أرواحهم قبل أن يصلوا النار وأكلت النار الملك وجنوده.

{بَيِّنَاتٍ}

واضحات.

(الآية 6):

{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}

{جَمِيعًا}

هناك قولان:

القول الأول (الأقرب) يجمع الله الخلائق الأولين والآخرين.
القول الثاني: جميعًا يجمع كل فرد على حدة مهما تفرقت أجزاؤه.
وعموم القولين يكمل بعضهما،

{فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا}

النبا أعلى من الخبر، فالخبر قد يكون خبر عادي، أما النبا يشير إلى أمر عظيم وهو هنا الحساب على الأعمال ومصيرهم.

{أَخَصَّهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}

الناس تنسى أعمالها بسبب الغفلة، أو تقادم الذنوب، أو لامبالاة القلب والله جل في علاه لا ينسى، كل شيء مسجل بدقة صغيرة وكبيرة، حاضر ومستتر ولا يُظلم أحد، فالعدل مطلق.
لا تحقر ذنبًا احتقار الذنب يؤدي إلى نسيان الاستغفار عنه.

الأفضل معالجة الذنوب فور وقوعها بالاستغفار والتوبة بالأذكار .

إذا أصبت بالذنوب صباحًا استغفر فورًا، لا تنتظر المساء وهكذا.

لابد للمسلم من التوبة اليومية: استغفار وتفريغ ما في القلب كل نصف يوم.

اخش الله :

اخش من لا ينسى ذنوبك التي نسيته، وارجو من لا ينسى حسناتك التي نسيته.

ماذا يفعل من ينسى ذنوبه:

يستغفر الذنوب المنسية،

كما كان النبي ﷺ يستغفر عن الذنوب:

"اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه".

أو كما في الحديث:

واستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب".

يشمل الذنوب المعروفة والمجهولة.

أمثلة على الذنوب العصرية :

الكلمات، التعليقات، والتفاعلات، والمشاركات على وسائل التواصل الاجتماعي فاحذرهما.

التذكير بالعدل الإلهي:

الله شاهد على كل شيء لا يضيع عمل صالح، ولا يُغفل ذنب، لا ينسى، ولا يظلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد، فأهلاً ومرحباً بكم في اللقاء الثاني من هذه المدرسة المباركة: مدرسة جزء **قد سمع**.
بإذن الله سنتناول الصفحة الثانية كاملة من **سورة المجادلة**، وجزءاً من الصفحة الثالثة، لأن موضوعها متصل بآخر آية في الصفحة الثانية.

(الآية 7):

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ }
وهذه الآية مناسبة للآية التي قبلها { أَحْصَهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ }

فالإحصاء يستلزم العلم التام، فالله عز وجل مطلع على كل أمر، لا يغيب عنه شيء في السماوات ولا في الأرض، وأكد سبحانه هذا المعنى بقوله:

{ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ }

والمراد من الآية إظهار علم الله وإحاطته بالمؤمنين والكافرين على حد سواء.

قال العلماء في تفسير النجوى: هي حديث السر بين اثنين أو أكثر، غالباً في أمر لا يريدون أن يسمعه الآخرون.

وسُميت **نجوى** من النجوة، أي المكان المرتفع؛ لأن صاحب السر يصون حديثه عن الظهور.

وقال آخرون: سميت نجوى لأن أصحابها يعتزلون الناس ويتحدثون بمعزل عنهم، فيشعرون كأنهم ارتفعوا عن غيرهم بخصوصيتهم.

ولا يشترط في النجوى أن تكون بصوت خافت؛ فقد تكون مرتفعة الصوت، المهم أن غيرهم لا يفهم ما يُقال، سواء بلغة أخرى أو لهجة بألفاظ غير معروفة.

وقد تكون النجوى في الخير أو في الشر.

{ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ }

أي: لا يجتمع جماعة يتناجون سرّاً إلا والله معهم بعلمه، يسمع كلامهم، ويعلم ما يدور في قلوبهم، فمهما زاد عددهم أو قلّ، فالله معهم بعلمه، مطلع على سرهم ونجواهم.

فليتأمل الإنسان حاله: إن جلس في مكان مغلق أو تحدث سرًا مع أحد، فليتذكر أن الله يسمع كلامه ويرى حاله، وأن كل لفظ يصدر عنه مكتوب ومحصى. لذلك ينبغي أن تكون نجوانا في طاعة الله ورضاه، وأن نعامله وكأننا نراه، فإن لم نكن نراه فإنه يرانا. وهذا يدعو إلى الخشية والمراقبة؛ فإذا كان سبحانه مطلعًا على ما نُسرّه في الخفاء، فكيف بما نظهره علنًا؟

فما يخفى على الناس ظاهرٌ عند الله، وكل قولٍ أو فعلٍ مسطور في سجلٍ لا يغيب عنه شيء. عقيدة أهل السنة والجماعة :

المعية المقصودة هنا معية العلم والإحاطة الإلهية والشهادة، حسب معتقد أهل السنة، وليست معية الذات، فالله معنا بعلمه وإحاطته، لا بذاته.

فالله سبحانه وتعالى عَلَى عَرْشِهِ مستو:

وقد وقع خلاف بين أهل السنة وأهل البدع حول مسألة المعية، فأهل البدع ينكرون علو الله سبحانه، أو يحاولون تفسيرات فلسفية غير صحيحة، بينما أهل السنة أجمعوا على الحق : أن الله سبحانه وتعالى في علوه، وعلى عرشه، وهو مطلع على كل شيء بعلمه وإحاطته.

دليل علو الله سبحانه وتعالى :

الأدلة من الكتاب :

{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}

{سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ}

{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}

{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}

الأدلة من السنة:

حديث أبي سعيد الخدري: حيث قال ﷺ "ألا تأمنوني؟ أنا أمين من في السماء".

حديث أبي هريرة: قال النبي ﷺ: "ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل". رحلة الإسراء والمعراج: عُرِجَ بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى الله.

حديث الجارية: سأل النبي جارية أين الله؟ فقالت في السماء، فأثبت إيمانها.

حديث حجة الوداع: رفع النبي صلى الله عليه وسلم السبابة إلى السماء وقال: " اللهم بلغ اللهم فاشهد".

الأدلة من أقوال الأئمة :

الإمام المالكى: "الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان".
الضحاك: "الله على العرش وعلمه معهم".

المُزني وهو تلميذ الشافعي: قال في وصف الله تعالى: "الله عالٍ على عرشه بذاته، وقريب بعلمه من خلقه، أحاط علمه بكل الأمور، وهو الجواد الغفور يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور".
ابن خزيمة: الأخبار كلها دالة على أن الخالق البارئ فوق سبع سماوات.
الذهبي: الدليل على أن الله تعالى فوق العرش والمخلوقات، ومع ذلك علمه في كل مكان، وفق الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين والأئمة.

إجماع السلف :

اتفق السلف على أن الله سبحانه استوى فوق العرش استواءً يليق بجلاله، ليس كمثله شيء، ولا يشبه خلقه، فالله تعالى مع خلقه بعلمه وسمعه وبصره، لا بذاته.
وهذا القول محل إجماع، فَمَنْ قال بغيره فقد ابتدع.

{ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ}

فأعد لهذه المسألة جواباً.

(الآية 8):

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ۚ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُبْسَ الْمَصِيرُ }

نزلت في اليهود حيث كان بينهم وبين النبي ﷺ "موادعة" هدنة، فكان اليهود إذا مرّ بهم أحد الصحابة جلسوا يتناجون سرّاً، فيظنّ المؤمن أنهم يتحدثون بقتله أو بأمر يكرهه، فيخاف منهم ويغيّر طريقه.

فلما علم النبي ﷺ بفعلهم نهاهم عنه، لكنهم عادوا لما نُهُوا عنه، فكان ذلك دأبهم في إيذاء المؤمنين بكل وسيلة، ولو بكلمة أو نظرة. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقد كان اليهود يتعمّدون ذلك لإيذاء الصحابة وإثارة القلق والخوف في نفوسهم، خاصة مع استمرار التعامل التجاري بينهم في المدينة.

فإذا كانت تلك طريقته حين كانوا قلةً في المدينة، فكيف بهم اليوم وقد امتلكوا المنابر والإعلام!

تصرفات اليهود ومكرهم بالمؤمنين في العصر الحديث :
اليهود منذ القدم، يسعون إلى إيذاء المؤمنين وإحزانهم بكل وسيلة.
واليوم حين امتلكوا وسائل الإعلام العالمية، صار لهم سبلٌ جديدة لإحزان المسلمين، منها:
نشر الفواحش والمنكرات.
بث الأخبار السيئة والمحبطة.
التحريض بين المسلمين.
تضخيم قوة أعداء الإسلام، وبث روح الضعف في نفوس المؤمنين.

لذلك يجب على المؤمن أن يفهم أسلوبهم، وألا يصاب بالإحباط أو الحزن، بل يقاوم ذلك بالتوكل على الله تعالى والثقة بوعده ونصره.

{وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ}

الإثم : هو المعصية كل ما يخالف أمر الله من قول أو فعل، ولا يؤذي الغير، مثل الكلام في الربا أو القمار أو الأمور المحرمة.
العدوان : عندما يكون التناجي مرتبطًا بإيذاء الآخرين، كالسرقة، أو التدبير للمقالب، أو الإيذاء النفسي، أو التنمر، أو السخرية وفيه ترويع وإيذاء للمسلم.
في زمننا الحديث، يصل الأمر إلى تصوير المقالب ونشرها عبر وسائل التواصل، مما يجعل الضحية عرضة للسخرية وللتنمر والاضطهاد لفترة طويلة.
{وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ}.

وأما معصية الرسول ﷺ فهي تشمل الإثم والعدوان معًا، لأن النبي ﷺ نهى اليهود بعدم النجوى لكنهم لم ينتهوا. فخالفوا نهى النبي ﷺ فكان ذلك معصية مباشرة للرسول بالإضافة إلى الإثم والعدوان، فاجتمع فيهم الإثم والعدوان ومعصية الرسول.

الحل العملي للمجالس غير النافعة :

1. خذ زمام الأمور وحول الحديث إلى ما ينفع، كأن تذكر درسًا تعلمته أو موقفًا مفيدًا.
2. تلاوة القرآن أو الأحاديث النبوية أو القصص المفيدة.
3. إذا لم يكن الحديث عبادة أو طاعة، فليكن على الأقل حديثًا مباحًا لا يفضي إلى إثم.

{وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}

فمن آداب الكلام أن يكون دائماً في الخير والبرّ، بعيداً عن الإثم والعدوان من نميمة وبغض وحسد أو أذى، فإن هذه المجالس لا تحرق الوقت، بل تحرق الحسنات وتذهبها.

والواجب على المسلم

الإنصرافُ عن مجالس الإثم والعدوان التي لا ترضي الله تعالى وعدم البقاء فيها. معنى التحية في اللغة:

قوله تعالى: "حَيَّوْكَ" من التحية، وأصلها من كلمة الحياة.

كان العرب في الجاهلية يقولون: حياك الله أو أحياك الله، أي: دعا لك بالحياة الطيبة.

ثم صارت كلمة "التحية" تطلق على كل سلامٍ أو تحية تُقال، مثل: السلام عليكم أو صباح الخير.

لكن الله تعالى علّم المؤمنين تحية مخصوصة فقال:

{فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةٌ طَيِّبَةٌ}

والله عز وجل، سلم على المرسلين وقال :

{وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ}.

فالتحية المشروعة من الله هي: السلام عليكم ورحمة الله.

تحية اليهود للنبي ومعناها :

{وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ}

ومن مظاهر عدوان اليهود ما فعلوه في تحيتهم للنبي صلى الله عليه وسلم. فكانوا إذا سلموا عليه،

يغيّرون ألفاظ التحية عمداً، فيقولون:

"السام عليك يا أبا القاسم"،

أي الدعاء عليه بالموت، وليس السلام.

القصة كما وردت في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

"دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، يعني الموت."

قالت عائشة: "فعلمت قصدهم، فقلت: وعليكم السام واللعنة!"

فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

"يا عائشة، إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش."

"فقالت: ألم تسمع ما قالوا؟"

قال صلى الله عليه وسلم:

"أوما سمعت ما قلت؟ قلت: وعليكم."

وفي رواية إنه قال لعائشة: إنه يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا أي أن ردّه كافياً ومهذباً، فقال لهم: وعليكم، أي إن كان ما قُلتُم خيراً فلكم، وإن كان شراً فعليكم، فنزلت الآية.

وفي رواية أنس رضي الله عنه قال: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع أصحابه، فمرّ عليهم يهودي، فقال: السام عليكم. فردّ الصحابة عليه بعلينكم السلام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أتدرون ما قال؟ قالوا: سلّم يا رسول الله.

قال: بل قال: سامٌ عليكم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: رُدّوه. فلما رُدّ قال له النبي: أَقُلْتَ السام عليكم؟ قال: نعم.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا سلّم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: وعليكم."

أدب الرد على تحية غير المسلمين :
بيّن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أدب الرد فقال:
"إذا سلّم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: وعليكم."
فإن قالها بحق، أي: السلام عليكم، فالمعنى: وعليكم السلام.
وإن قالها تحريفاً أو خُبثاً، كأن يقول السام عليكم، فالمعنى: وعليكم ما قُلتُم.
وفي ذلك حفظٌ للأدب، وردٌّ للنّية بمثلها دون تعدٍّ ولا فحش.
الدعاء المستجاب يكون للمؤمنين لا لليهود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:
"يُستجاب لنا فيهم، ولا يُستجاب لهم فينا."

تنبيه لغوي لا تقولوا "سامو عليكم" :
وهو خطأ شائع بين بعض الشباب اليوم حين يختصرون التحية فيقولون:
"سام عليكم" أو "سامو عليكم" بدلاً من "السلام عليكم".
فـ " *السام* " تعني الموت، وهي نفس الكلمة التي قالها اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم.
تحية الإسلام شعار خاص بالمؤمنين، وهي تحية من عند الله.
لذلك يجب على المسلم أن يفتتح لقاءه بها، فيقول: السلام عليكم،

ثم بعد ذلك إن شاء قال: صباح الخير أو أهلاً وسهلاً، فلا حرج. أما أن يُقدّم غيرها، أو تُترك تحية الإسلام تمامًا، فذلك خلاف السنة. حتى في المكالمات الهاتفية، ينبغي أن يبدأ المسلم بالسلام، "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

التحية ليست مجرد كلمة، بل هي شعار إيمان وهوية، تعبّر عن أدب المسلم، وصدق لسانه، وسلامه قلبه. قال تعالى:

{وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ}

ابدأ بالسلام قبل أي كلام، فهو واجب ومشروع. وإن ألقيت السلام ولو مختصراً فقد فعلت الواجب. إن أردت زيادة الأجر فاقتطع العبارات الزائدة مثل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إذا دعا عليك ظالم، فلا تجزع واطمئن :

الحديث يعلمنا فائدة عملية: لو دعا عليك ظالم فالله لا يستجيب لدعائه :

1. اطمئن عند دعاء الظالم:

دعاء المظلوم على الظالم مستجاب عند الله، بينما دعاء الظالم على المظلوم غير مستجاب، كما قال النبي ﷺ:

"يُستجاب لأحدكم ما لم يدع بإثم ولا قطيعة رحم".
لا تهتم بتهديدات الظالم ولا تخف منها.

2. رد الظلم بالحكمة:

حافظ على نفسك من الأذى ومن دعواتهم، لكن لا ترد بالإثم أو الانتقام، بل بالصبر والحكمة.
3. تأكد من موقفك:

قبل الرد على دعاء أو موقف، تحقق أنك مظلوم فعلاً. إذا كنت مظلوماً فابق صامداً، أما إذا وجدت أنك مخطئ أو ظلمت الآخرين فلا تصعد الأمور، بل أصلح الموقف بالعدل والحكمة.

{وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ}

يقولون فيما بينهم، لو كان محمدٌ نبياً لعذبنا الله بما يتضمنه قولنا من الاستخفاف به، هذا تعالٍ للنفس وخداعٌ شيطاني أن الجزاء قد لا يظهر فوراً في الدنيا، وأن الجزاء الأكبر محفوظ يوم القيامة. لذلك لا تستعمل هذا الحجة لتبرير الطغيان أو التشكيك في عدل الله كفاهم جهنم عقاباً لهم في الآخرة

{حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ}

جزاء الظالم وحسابه عند الله وحده، فليس تأخير العقوبة دلالةً على عدم وقوعها، فالعقوبة قد تكون مؤجلة أو كاملة في الآخرة:

{وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا}

وإن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

لا تشك في حكم الله؛ فكل شيء عنده محسوب، وما يحدث في الدنيا مجرد جزء من الحساب النهائي. يوم القيامة يجتمع كل الخصوم، ويُقضى لكل مظلوم حقه، كما في قوله تعالى:

{وَأَنَّمَا تُوقَفُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ}

الشيطان يغرّر الإنسان بتأخر العقوبة في الدنيا ليعتقد أنه على صواب.

المظاهر لا تُعد مقياسًا للصواب أو الخطأ: الصحة، الرزق، أو نجاح الدنيا ليست دليلًا على رضا الله.

العقوبة قد تأتي فجأة أو تؤجل بالكامل للآخرة، كما وقع لفرعون.

فلا تقيس صحة طريقك على سرعة العقوبة أو تأخرها، بل على وحي الله وما أمر به.

لا تغتر بالمظاهر، وثق بأن الحساب يوم القيامة أكمل:

{أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ * فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} واربط كل موقف بالآخرة.

من صور العدوان في الواقع المعاصر :

أن يجتمع بعض الناس ليتناجوا بحديث فيه أذى أو مكيدة لأحدهم، كأن يقولوا:

"نريد أن نضرب فلانًا"، أو "نريد أن نسخر من فلان"، أو "نخدعه، أو نوقع به مقلبًا".

وقد تطورت هذه الأفعال في زماننا حتى صارت المقالب وسيلة للضحك والتسلية، يجلس الناس

ليُدَبِّروا لها تدبيرًا، فيقول أحدهم:

"حين يأتي فلان سنفعل به كذا وكذا".

وهذا كله حرام شرعًا؛ لأنه يدخل في باب العدوان، ويشمل ترويع المسلم وإيذائه، وقد يبلغ حد

التنمر والسخرية. ويزداد سوءًا إذا تم تصوير هذه الأفعال ونشرها طلبًا للشهرة أو الترنّد، إذ يتحول

الضحية إلى مادة للسخرية والازدراء أمام الآخرين لفترة طويلة.

(الآية 9):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ، وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى،

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}

الآية توجّه دعوة للمؤمنين للتناجي بما يرضي الله، ونهيهم عن التناجي بما فيه إثم، كالتحدث بالباطل، أو عدوان على الآخرين، أو مخالفة أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم. وفيها دعوة إلى محاسبة النفس على المعاصي والتراجع عن التفكير في الإيقاع بالآخرين بعض المجالس تمتلئ بغيبة ونميمة وسخرية، حتى أصبحت عادةً بين النساء في البيوت، وبين الرجال في المقاهي والمجالس، يتحدثون في أمورٍ لا خير فيها، مما يدل على خطر التهاون في الكلام قال تعالى:

{وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ}.

فكل كلمةٍ تُقال تُسجّل، ولا يقال: "كنّا نمزح" أو "كنّا نحرق الوقت"، لأن الوقت لا يُحرق بل تُحرق فيه الحسنات.

الآيات تذكر المؤمن أن كل موقف قد يقوده إلى معصية أو ظلم هو امتحان له، وأن حسابه أمام الله قريب.

كما جاء في سورة المطففين:

{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} يعلق ابن عباس على هذه الآية قائلاً: بأن أهل المدينة لما قدم النبي ﷺ كانوا أخبث الناس كيلاً فلما نزلت المطففين صاروا أحسن الناس كيلاً.

فالذين يتهاونون في حقوق الآخرين، ويغشون في تعاملاتهم، ينسون أن كل عمل صغير أو كبير مرصود، وأنهم سيُبعثون يوم القيامة ليحاسبوا على كل تفصيل من أعمالهم.

{وَتَنَجَّجُوا بِالْبَرِّ وَالتَّقْوَى}

فلنحرص على مراجعة أعمالنا وأقوالنا، ولنجعل البر والتقوى منهج حياتنا اليومية.

{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}

اتق الله وتذكر الآخرة وعلق قلبك بها، واضبط سلوكك بالبعد عن كل ما يغضب الله لا تشاهد ما لا يليق، ولا تسمع الأغاني، ولا تفتح محادثات مع الجنس الآخر لأنها قد تؤدي إلى الخطأ.

كلما هممت بمعصية، ضع أمامك قوله تعالى: {أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ}

(الآية 10)

{إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}

النجوى المقصودة هنا هي النجوى السيئة المحزنة، فالنجوى ليست كلها مذمومة. النجوى المحزنة هي من عمل الشيطان الذي يريد أن يُقلق المؤمنين.

أنواع النجوى :

النجوى الصالحة: كمن يتشاورون في عمل خيري، أو يخططون لمبادرة دعوية، أو يسعون للإصلاح بين الناس في سرٍّ لا يُراد به الرياء، بل الخير.

النجوى الخبيثة: وهي المقصودة في الآية، كالتي يفعلها اليهود بالمسلمين، والاجتماعات في المجالس للكيد، أو السحر، أو نشر الإشاعات، أو الحسد، أو التفريق بين الأزواج، أو الإشاعات و الكلام في أعراض الناس.

الشيطان يريد حزن المؤمن :

الشيطان يستخدم النجوى ليحزن المؤمنين ويزرع في قلوبهم الريبة والشكوك.

وقد تشعر أن الناس يتحدثون عنك، أو يحسدونك، أو يصنعون لك سحرًا.

وهذا كثير في حياة البنات خصوصًا؛ إذ تكثر وساوس الشيطان ليجعلنَّ في حالة خوف واضطراب دائم.

لكن في الحقيقة، الشيطان يوهمك بهذه الصور ليحزنك فقط.

النتيجة النفسية للوساوس الشيطانية :

حين تستسلم لهذا الخوف، يتحوّل إلى همٍّ وحزن، ثم إلى إحباط ويأس وكسل. ولذلك كان النبي ﷺ يستعيز بالله فيقول:

"اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل".

لأن الهم والحزن يُنتجان العجز والكسل، فيصير الإنسان محبطًا، قليل الهمة، لا يريد عملاً ولا عبادة. فالنجوى التي تخيفك قد تكون وهماً أو سوء ظن بالناس، فلا تهتم بها.

فالله يقول أن كل شيء بيد الله:

{وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}

هذه الآية علاج لكثير من مشكلاتنا النفسية؛ فحين تدرك أن كل ضرر لا يقع إلا بإذن الله، يطمئن قلبك، وتزول مخاوفك من الحاسد أو المؤذي. فلا تُضع وقتك في الخصومات أو مراقبة الناس، بل وجه قلبك إلى الله وحده، متوكلًا عليه، واثقًا أنه لا نافع ولا ضار إلا هو، ومن توكل عليه كفاه.

حين تنتشر عنك الأخبار — كزواج أو حمل — فقد يحسدك الكثير، لكن الحقيقة أن الله صرف عنك أذى كثيرًا ببركة طاعتك وعبادتك، وأذكارك وقراءة القرآن، ورقية نفسك، ودعاء والدتك، ودوامك على الصلاة والدعاء.

عليك أن تتحلّى بنفسية عالية من الإيجابية والتفاؤل، وألا تركز على الحساد أو من يتحدث عنك. ركّز على الله وحده الذي بيده كل شيء، واحم نفسك بالأذكار والرقية وقراءة القرآن، كما كان يفعل الأنبياء.

منهج الأنبياء في مواجهة المكائد :

سيدنا هود عليه السلام: حين اتفق قومه على قتله، قال لهم:

{إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

وقال سيدنا نوح :

{فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ}

هؤلاء الأنبياء لم يخافوا من المكائد البشرية لأن قوة توكلهم على الله، وقوة إيمانهم، كانت أعلى من أي تهديد.

الحسد والسحر وأذى الناس :

حتى الحسد أو السحر، فهو بإذن الله فقط، وليس بسبب قوة الحاسدين أنفسهم.

فلو وقع بك حسد أو سحر فهو لسببين :

1. لتقصير منك: فيعاتبك الله، ويعاقبك ليهديك.
2. لحكمة وابتلاء: لرفع درجتك أو تعليمك الصبر، كما حدث للنبي ﷺ عندما أصابه السحر فكانت الحكمة تعليم الناس.

التعامل الصحيح هو التوجه إلى الله بحسن التوكل، والاستعاذة به بالمعوذات ، مع المواظبة على الأذكار.

(الآية 11) :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ} وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {

هذه الآيات نزلت لتعليم الصحابة آداب الجلوس في مجالس الذكر، قال قتادة، أن هذه الآية نزلت في مجالس الذكر، حيث كان بعض الصحابة يحرصون على المقاعد الأولى ويخشون قدوم كبار الصحابة أو طلبة العلم المميزين فيجلس كل واحد ضاغظاً على مكانه. فأمرهم الله أن يفسحوا مجالسهم للآخرين.

قال النبي ﷺ:

"لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا".

فالمقصود ألا يحق لأحد أن يمنع غيره من الجلوس أو يضيق عليه مكانه، بل ينبغي التنازل بسلاسة ومن غير عناد، فلا شدة في منع الآخرين، ولا إهمال في تقدير مكانهم.

{ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ }

قاعدة "الجزاء من جنس العمل"

فما تفعله للآخرين يعود إليك:

_"من بنى بيتاً لله، بنى الله له في الجنة" _

_"الراحمون يرحمهم الرحمن" _

مجرد فسحة صغيرة، يفتح أبواباً كبيرة للرزق والسكينة والراحة.

ترك المحذوف في الآية يجعل الوعد عام وشامل، بحيث أي فعل بسيط من الإنسان في مصلحة الآخرين—مثل التنازل عن مكانه في المجلس—يمكن أن يُترجم برزق أو يسر في أمور حياته، وراحة قلبه، ونجاحه، وحتى أجر عظيم في الآخرة.

كل عمل حسن، مهما كان صغيراً، قد يفسح الله لك به في أشياء كبيرة المرونة في ترك بعض الكلمات من الآية تعطي العموم والشمولية للمعنى.

الله تعالى يوسع لك في:

الرزق، العلم، حل المشاكل، راحة الصدر، ومكانة في الجنة.

حل مشكلة الشح في النفس :

الإنسان بطبعه شحيح وحريص على حقوقه، حتى في المساجد أو المدرجات أو المجالس. التنازل البسيط عن حقه أو مكانك يشجع النفس على الكرم ويسبب انشراح الصدر وراحة القلب وفرج الهموم. فمثلاً: إذا وقف شخص يبحث عن مكان، وفسحت له فإن الله يفتح لك أبواباً في حياتك، ويملاً قلبك بالسرور والطمأنينة. وقد يكون لهذا التنازل أثر أعمق في الدنيا والآخرة، فالله يوسع لك أبواب العلم والهداية، ويمنحك الراحة في الدنيا والآخرة، وفي قبرك، وفي الجنة. إذا كان هذا وعد الله فيمن تفسح لأخيه في مجلس فكيف بمن فرج كربته وأعانه! فمن فرج عن أخيه كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب الآخرة.

{وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا}

النشور هو الترفع، يقال امرأة ناشز: أي مترفعة على زوجها.

{انْشُرُوا}

تعني قوموا.

والمقصود بها هنا: القيام في مجالس العلم، أو عند ازدحام المجلس، أو عندما يقتضي الأدب والانشغال احتراماً للحاضرين.

هناك القول آخر يخص مجالس العلم فقط يشمل الصلاة، أي إذا حان وقت الصلاة وأنتم في مجلس علم فقوموا وصلوا ثم عودوا إلى مجالس العلم. فإذا كنت طالب علم في بيتك أو معهد، أو كلية، وحضرت الصلاة فقم لها.

فإذا شعرت أنك تثقل على المجلس أو على الشيخ، فقم بأدب دون تردد أو جدال، فذلك من تمام الأدب والذوق العام.

إذا شعرت أنك تثقل على الناس، فقيامك خفة، وهو حق للآخرين عليك.

{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}

الرفعة الحقيقية في الدنيا والآخرة يكون في طلب العلم والعمل الصالح، والعلم يزيد المؤمن قرباً من الله.

قال ابن المعتز:

مات خُزان الأموال وهم أحياء، وعاش خُزان العلم وهم أموات .

العلم يرفعك في الدنيا والآخرة:

عندما كان نافع أميرًا على مكة جاء عند سيدنا عمر رضي الله عنه، وكان عمر مسؤولًا عن إدارة المدينة.

سأل عمر نافع: "من تركت من ينوب عنك لإدارة شؤون الناس؟"

فأجابه نافع: "ابن أبزة"، وكان ابن أبزة عبدًا ثم أعتق "مولى" وأصبح عالمًا حافظًا للقرآن ومعرفة بالفرائض والمواريث.

فقال عمر رضي الله عنه: "إن الله ليرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين، وإنما يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات".

(الآية 12):

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيْكُمْ صَدَقَةٌ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَظْهَرُ ۚ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

كان الصحابة رضي الله عنهم يكثر من ملاقات النبي ﷺ للحديث، سواء للسؤال عن أمور دينهم، أو لمشاركة مشاكلهم، أو طلب النصائح.

أحيانًا كانت هذه اللقاءات كثيرة أو غير مهمة، مما كان يرهق النبي ﷺ. فأدبهم الله بهذه الآية؛

قبل أن تتحدث مع النبي ﷺ، قدم صدقة، الغرض منها تعليم الصحابة أدب النجوى وعدم إهدار وقت النبي ﷺ فيما ليس مهمًا

هذا الأدب اختُبر على الصحابة، ويروى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان الوحيد الذي طبق هذا الحكم عمليًا حينها، وقد رُفِعَ الحكم بعد فترة قصيرة، ويُقال إن هذه الآية كانت نافذة ساعة واحدة فقط من النهار، ثم أصبحت بعدها مستحبة وليست واجبة.

(الآية 13) :

{ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيْكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}

في هذه الآية عفا الله عن الصحابة ونسخ الحكم،

لأنهم فهموا الغاية وأدب التعامل مع النبي ﷺ.

{ءَأَشْفَقْتُمْ}: راجعتم أنفسكم.

فائدة من السياق

كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، إذا خرج ليوم الجمعة، تصدق بما عنده من طعام وكان يقول :

أمرنا الله تعالى بالصدقة عند مناجاة الرسول ﷺ، فالصدقة قبل مناجاة الله أفضل وأولى.

فكان قبل أن يدعو أو يناجي الله يتصدق.

الإسلام يجمع بين العمل الصالح والأدب مع الله والناس، وليس مجرد الكلام والدعاء.
الإسلام يقيد الحريات حتى لا يؤذي الآخرين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.
السلام عليكم ورحمة الله.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد،

مرحبًا بكم في اللقاء الثالث من دورة مدارس جزء قد سمع. نواصل اليوم تدبر الثلث الأخير من سورة المجادلة، سائلين الله تعالى التوفيق لإتمامها.

في اللقاء السابق تحدثنا عن الأدب مع النبي ﷺ، كما ورد في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} وقد بينّا أن العمل بهذه الآية لم يَدُم طويلاً، إذ نُسخت بقوله تعالى:

{ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَتْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؕ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}

نبدأ اليوم من قوله تعالى:

(الآية 14):

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}

الحديث عن المنافقين في المدينة الذين وآلوا أعداء الله من اليهود، وأظهروا للمؤمنين خلاف ما يُبطنون.

{تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}

تَوَلَّوْا: اتخذوا قوماً أولياء، أي ناصرهم ومالوا إليهم.

المقصود بهم غالباً اليهود، لأن الغضب الإلهي ورد وصفاً لليهود في مواضع كثيرة. لأنهم ضلّوا على علم؛ أي عرفوا الحق ثم خالفوه.

إشارة إلى موالاتهم لليهود على حساب المؤمنين، رغم علمهم بغضب الله لهم.

{مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ}

أي المنافقون ليسوا مؤمنين خالصين ولا يهودًا صرحاء، بل في حالٍ من التذبذب.

الغضب الإلهي وصفٌ متكرر لليهود.

الولاية في الشرع لا تعني فقط القرب أو المعاشرة، بل لها معانٍ متعددة، منها:

1. **المحبة القلبية:** أن يحب الكافر ويبغض المؤمنين، فيصرف المحبة الشرعية في غير موضعها. فالمؤمن مأمور أن يحب في الله ويبغض في الله.

قال تعالى:

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}.

على المسلم أن يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله تعالى.

2. **النصرة:** أن ينصر الكافر على المؤمن، خصوصًا في حال الحرب أو الخصومة، وهو من أخطر صور الولاية.

3. **التشبه بالكفار:** في المظهر والعادات والتقاليد، مع الاستهانة بهدي الإسلام وسننه. كمن يُعجب بطريقة الكفار أو من يريد نقل التجربة الغربية كاملة إلى بلاد المسلمين، ويستخف بالسنن الإسلامية في المظهر والعادات، ويسخر من الحجاب وآداب الإسلام، وهذا بلا شك من اتباع الكافرين.

4. **الطاعة في معصية الله:** أن يطيع الكفار فيما يُغضب الله، كمن يكتب أو يتحدث بما يُهين الإسلام أو النبي ﷺ لإرضائهم.

درجات الولاية للكفار بين الكفر والمعصية :

فالموالات الدينية، قد تصل إلى الكفر إذا أحب المرء دينهم أكثر من دين المسلمين أو أطاعهم في الكفر، مثل السخرية من الإسلام أو النبي ﷺ.

والدرجة الأدنى تدخل في المعصية، مثل تقليدهم في اللبس أو العادات دون إنكار الإسلام.

وقد نهى الله عن ذلك كما في قوله:
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ}
(الْمُمْتَحِنَةُ: 13)

الولاية الصادقة للإسلام تظهر في المحبة والطاعة والافتداء:
فتحب المؤمنين وتطيعهم وتقتدي بهم وتنصرهم، وتبغض الكافرين وأفعالهم.
وتعتز بدينك وسنن الإسلام، وتتبع منهج الإسلام وأدابه وشعائره.
قال تعالى:
(وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا)

{مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ}
ينطبق على حال المنافقين في المدينة، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، الذي كان يتولى اليهود، ويؤيدهم وينصرهم من بني قينقاع وبني النضير، بل ويدافع عنهم.

اختلف المفسرون في المقصود بهذه الآية على وجهين:

1. القول الأول:

أنها تصف المنافقين أنفسهم، أي أن المنافق لا هو من المؤمنين ولا هو من اليهود.
فهو ليس مسلمًا صادقًا ولا يهوديًا صريحًا، بل يعيش في حالة تذبذب بين الطرفين.
قال تعالى في وصفهم:

{مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ}
يتلونون بحسب المصلحة.

2. القول الثاني:

أن الجملة تصف اليهود، أي أن المنافقين تولّوا اليهود الذين لا هم من المسلمين ولا من المنافقين.
فاليهود يظنون يهودًا، لا يبدّلون عقيدتهم ولا يوالون المؤمنين، ومع ذلك يسعى المنافقون لكسب ودّهم.

وإذا أخذنا بالمعنى الثاني، فالمعنى يحمل مبالغة في الذم:

فالمنافق يتولى قومًا لا يجمعه بهم دين ولا مبدأ، يستغلونه لتحقيق مصالحهم في حرب الإسلام، وعند أول منعطف يتركونه بلا اعتبار لأنهم لا يعدوه إلا وسيلة.

ولو انضم للمسلمين ، لكان من حزب الله المفلحين، لكنه اختار طريق الخيانة والخذلان.
{وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}
أي يدركون تمامًا أنهم كاذبون حين يحلفون.

وكذلك الآية تصف حال المنافقين حين يواجهون النبي ﷺ والمؤمنين بقولهم: **{ءَامَنَّا}** ، **{وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ}**
فهم يكذبون ثم يحلفون كذبًا لتثبيت باطلهم.
وهذا ما وصفهم الله به في قوله تعالى:
{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}
يقسمون كذبًا على الإيمان وهم يعلمون بباطنهم خلاف ذلك. وهو ما يعرف بـ "اليمين الغموس".

اليمين الغموس :
هو أن يحلف الإنسان كاذبًا وهو يعلم أنه كاذب.
وسمي "غموسًا" لأنه يغمس صاحبه في النار.
وهو من أكبر الكبائر، إذ يجمع بين الكذب والاستهانة بإسم الله.

لو أن إنسانًا نسي حقيقة أمرٍ ما فأنكر وحلف ظنًا منه أنه صادق، فلا إثم عليه، لأنه لم يعلم أنه كاذب حين حلف.
أما إن علم أنه يكذب ويخالف الحقيقة وقت الحلف، فهذا هو اليمين الغموس المحرّم.
فإياك أن تحلف على كذب.

إذا حلف شخص على أمر سيقوم به في المستقبل، وقال: «والله سأفعل كذا»، فهذا يُسمّى يمين الحلف.

وإذا لم يفعل ما حلف عليه عند وقوع الوقت، يجب عليه كفارة اليمين، وهي:
إطعام عشرة مساكين، أو
صيام ثلاثة أيام إذا لم يستطع الإطعام.
أما اليمين الغموس فهو مختلف، إذ تحلف فيه على أمر حصل بالفعل، وأنت تعلم أن الأمر لم يحدث أصلاً.

حكم اليمين الغموس :
لا كفارة له، لأنه أعظم من أن تُكْفَر بإطعام أو صيام.
وطريق التوبة منه هو الندم الصادق، والاستغفار، والإكثار من العمل الصالح رجاء مغفرة الله.

رأي العلماء به:
اليمين الغموس لا تتعلق بالمستقبل، بل بالماضي، حين يُقسم المرء على شيء وقع وهو يعلم أنه لم يقع.

آداب الحلف :
1. عدم الحلف كاذباً أبداً.
فالكذب مع اليمين من كبائر الذنوب، وعقوبته شديدة.
2. عدم الإكثار من الحلف ولو كان صادقاً.
لأن كثرة الحلف تذهب بمهابة اليمين، وتوقع الإنسان في الكذب من غير قصد.
قال تعالى:
{وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ}
أي لا تكثروا الحلف، ولا تستعملوا اسم الله في كل شأن.

3. أي لا تتخذوا الحلف عادة تردّدونها في كل أمر.
قال تعالى:
{وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ }

أثر كثرة الحلف:

كثرة الحلف قد تؤدي إلى الكذب، وتُسقط الثقة بين الناس.
من اعتاد الحلف يُظن به الكذب ولو كان صادقاً، ويصبح غير موثوق لدى الآخرين.
أما من يحلف قليلاً، أو على الأمور المهمة فقط، فإن الناس تصدقه، لأن حلفه محدود ويظهر جديته وصدق أقواله.

(الآية 15):

{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

العذاب الشديد أعدّه الله للمنافقين في الدرك الأسفل من النار، لأن نفاقهم أخطر من كفر الكافرين الصرحاء.

فالكافر الصريح معروف العداء، أما المنافق عدو باطن، فيطعن الصف الإسلامي من الداخل، ولذلك كان خطره أشد وعقوبته أعظم.

(الآية 16):

{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}

أيماهم: أي حلفهم الكاذب.

جنة: أي وقاية وستر

المنافقون جعلوا أيماهم الكاذبة درعاً يحتمون به من العقوبة أو الفضيحة.
فإذا إتهم أحدهم بالنفاق أو الإساءة إلى النبي ﷺ، حلف بالله أنه بريء، فيُصدّق لقلة البيّنة.
فتلك اليمين الباطلة حفظت دماؤهم وأموالهم من نيل العقوبة.

ورد عن بعض المنافقين أنهم قالوا: "إن مثلنا مثل هذا الرجل، كما قيل: "سمن كلبك يأكلك".
وقد سمع بعض المؤمنين هذا الكلام، فذهبوا ليخبروه النبي ﷺ، فلما سئل المنافق، أنكر وقال:
والله لم أقل هذا الكلام.

ووردت أحداث كثيرة مشابهة، حيث فضح الله كذبهم في القرآن في سورة التوبة:

{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }

(التوبة: 74)

والعبرة هنا أن بعض المنافقين كانوا يحاولون التهرب من العقوبة بالكذب والإنكار، خاصة إذا لم يكن هناك شاهد على كلامهم. فاليمين يستخدمها للهروب من التهمة، بينما البيئة تكون على من يدعي الحق. هذا يوضح خطورة النفاق وأساليب المنافقين في التملص من المسؤولية.

{فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}

الصد: هو المنع والإعراض.

وهذا يشمل نوعين من الصد:

1. صد غير المسلمين عن الإسلام:

فالمنافق حين يظهر الإسلام ثم يهاجم الدين من داخله، ينقر الناس من الدخول فيه. فعندما يرى غير المسلم من يحسب على المسلمين يهاجم دينهم، يظن أن الإسلام باطل، فيعرض عنه، وهكذا يكون المنافق قد صد عنه الدخول في سبيل الله.

2. صد المؤمنين عن الطاعة والعبادة وتشبيطهم:

فالمنافق لا يكتفي بنفسه، بل يثبّط غيره عن العمل الصالح.

فإذا دعاهم النبي ﷺ إلى الجهاد قالوا:

{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا}

(الأحزاب 18)

وكما قالوا:

{يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا} (الأحزاب 13)

وإذا حثهم على البذل قالوا ساخرين من المتصدقين:

{الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ

مِنْهُمْ} سَخَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ { (التوبة 79)

فهم يثبّطون المؤمنين عن الجهاد، وعن الصدقة، وعن العبادة.

صفات المثبطين :

غالبًا ما يحاول المنافقون إحباط المؤمنين وتشويه حماسهم، فتسمع أقوال مثل:

"لا تذهبي للصلاة، اجلسي معنا".

"لا ترتدي الحجاب، أنت جميلة هكذا".

"ما الذي فعلته بنفسك؟ لماذا تفعلين ذلك؟"

المغزى هنا أن هؤلاء الأشخاص يسعون لإضعاف إيمانك وإبعادك عن طاعة الله. لذلك، بعد أن تعرفت على أن من صفات المنافقين أنهم يعيقون ويثبطون ويصدون عن سبيل الله،

على المؤمن أن يسأل نفسه:

هل فيه صفة من صفات المنافقين؟

ليس بالضرورة أن يكون الإنسان منافقًا كامل النفاق، لكن قد توجد فيه خصلة من خصالهم، كأن يُحبّط غيره عن العبادة أو الخير.

إياك أن تكون سببًا في تثبيط أحد.

بل كن مشجعًا على الطاعة حتى وإن كنت لم تفعلها بعد.

شجّع غيرك على الصلاة، على الحجاب، على طلب العلم، على حفظ القرآن.

ولو كنت مقصّرًا، فادعُ غيرك وقل: "ادعُ لي أن أكون مثلك يومًا".

المؤمن الصادق لا يصدّ الناس عن سبيل الله، بل يعينهم عليه

{فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}

العذاب المهين هو العذاب الذي يجمع بين الألم والإهانة، الذي يكسر كبرياء صاحبه ويذله.

قال تعالى:

{يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} (القمر 48)

السحب على الوجه فيه إهانة وذل، بخلاف السحب على الظهر، مما يدل على أن العقوبة ليست فقط ألمًا جسديًا، بل إذلالًا معنويًا

وقال تعالى:

{قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} (المؤمنون 108)

وهذا أمر بالإهانة والسكوت الدائم.

وقال أيضًا:

{ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} (الدخان 49)

أي يسخر الله منهم يوم القيامة بما كانوا يتكبرون به في الدنيا.

فهكذا يُهان المنافق في النار، كما كان يستهين بطاعة الله في الدنيا.

(الآية 17) :

{لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} فعل المنافقون كل ما فعلوه—من كذبٍ ونفاقٍ وحلفٍ—خوفًا على أموالهم وأنفسهم. ظنّوا أن الكذب يحميهم من الفقر أو الخطر. لكن ما حرصوا عليه لن ينفعهم شيئًا، ولن يغنيهم عن عذاب الله.

القاعدة مستفادة:

"من عصى الله لأجل مصلحة دنيوية، حرمه الله من تلك المصلحة، ولو نالها لما بارك له فيها، بل عوقب بنقيض قصده".

فمن نفاقهم: أنهم حلفوا كذبًا ليحافظوا على أموالهم، فقال الله: {لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا}.

أمثلة من الحياة الواقعية:

من تنازل عن دينه من أجل وظيفة، لن يبارك الله له فيها ولا بماله منها.
من ترك الصلاة لأجل العمل، لن يبارك الله له في عمله.
ومن تبرّجت لتنال زواجًا، لن تجد البركة في حياتها.
من باع دينه لأجل دنيا، خسر الدنيا والآخرة معًا.

التحذير من استعجال الرزق بالمعصية، وأن الرزق الحقيقي هو بالبر والطاعة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"لا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته".

اتبع طاعة ربك مهما كلفك الأمر، فنهايتها خير للمتقين.

{أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}

المقيمين فيها إقامة دائمة.

هم ليسوا زوّارًا أو عابرين، بل ملازمون لها أبدًا.

{خَالِدُونَ}

تعني لا موت بعدها ولا خروج منها.

عاقبة الكفر الخلود في النار.

مما يورث الخوف والرعب في قلب المؤمن، فيحمد الله على نعمة الإسلام ويتمسك بها.

التحذير من بداية الانحراف :

الكفر لا يبدأ فجأة، فبدايته معصية تتبعها أخرى حتى يظلم القلب.

فمن أراد النجاة فليجعل بينه وبين الكفر وقايةً من التقوى، وليحذر من المعاصي التي تُقَرِّب منه.

(الآية 18) :

{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ
الْكَاذِبُونَ}

معنى "جميعًا"

فيها قولان:

1. القول الأول : يبعث الله الأولين والآخرين جميعًا للحساب.

كما قال تعالى:

{ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ } (الواقعة 49-50)

2. القول الثاني: أن الله يجمع أجزاء كل إنسان مهما تفرقت.

فمن احترق أو تفرّق جسده في الأرض أو البحر، فإن الله يجمعه كما قال تعالى :

{وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}
(الأنعام 59)

فحين يُبعث المنافقون، يتجرأون على الله ويحلفون لله كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا.

يتوهمون أن الكذب سينفعهم كما نفعهم مؤقتًا في الدنيا.

{ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } (الأنعام 23)

فِيكَذِّبُهُمُ اللَّهُ:

{ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ }

(الأنعام 24)

يحلفون ويزعمون الإيمان، ويعترفون بذنوبهم والله يعلم السر وأخفى، فلا ينفعهم شيء في ذلك اليوم، لأن إيمانهم لم يكن حقيقياً من قبل.

بعد أن يدرك الكافرون والمنافقون استحالة الرجوع ويعلمون أنه لا أمل لهم في النجاة، يبدأون بطلب التخفيف عن عذابهم، فيقال لهم:

{ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ }

ثم يحاولون مخاطبة خازن النار قائلين له:

{ يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ }

ثم يطلبون الموت، غاية أملهم

{ إِنْكُمْ مَكِثُونَ }

حين يجدون أن كل طرق العودة إلى الله قد قطعت، فيتجهون إلى خازن النار مستسلمين لمصيرهم المحتوم يطلبون أن يخفف الله عنهم ما

هم فيه،

{ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۖ قَالُوا فَادْعُوا ۚ وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ }

(غافر 50)

ضرورة المحافظة على الرجاء بالله قبل فوات الأوان.

{ فَيَخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ ۖ }

يبدأون بالحلف على البراءة من الشرك والنفاق ويحسبون أنهم على شيء، لكنهم كاذبون

{ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ }

الكاذبون: المنافقون الذين يخالفون ما يحلفون به.

فيها توكيد قوي على كذبهم بتكرار الضمائر: إنهم هم الكاذبون.

الكذب والخداع لا يفلتان من العدالة الإلهية.

(الآية 19):

{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ وَلِلَّيْلِ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ لَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ}

استحوذ أي ضمهم إليه وغلب، على قلوبهم وعقولهم، حتى صاروا في قبضته، دون مقاومة لأنهم فتحوا له الأبواب، حين يضعف الإيمان ويقل الذكر تتسلل وساوس الشيطان حتى تسيطر تمامًا على القلب، فينزع من العبد أعظم سلاح وهو ذكر الله.

الشيطان لا يكتفي بإضعاف المؤمن، بل يسعى إلى نزع السلاح بالكلية، فيجعل العبد غافلاً تمامًا عن الله. فما دامت هناك ذكري أو توبة محتملة، فثمة خطر على سلطانه. قال تعالى:

{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}

عندما انصرفوا بإرادتهم، جازاهم الله بزيادة الضلال، فالاستحواذ لا يأتي فجأة، بل يبدأ من باب صغير من التقصير: كترك ورد، أو تأخير صلاة، أو غفلة عن تلاوة القرآن. ثم تتتابع الخطوات حتى يحكم الشيطان قبضته

حماية النفس من استحواذ الشيطان :

الشيطان ضعيف جدًا، لا يملك سلطاناً على المؤمن المتوكل على الله. {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ}

فلا تخف من الشيطان، ولا من الحسد أو السحر، ولا تعش في وساوس دائمة.

الخوف من الشيطان هو باب من أبواب ضعفه عليك، لأن الله قال:
{إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}
(آل عمران: 175)

المؤمن الحقيقي أقوى من الشيطان أضعافاً مضاعفة، لأن الله معه.
فإذا وسوس الشيطان أو حاول الاقتراب، فإن أهل التقوى ينتبهون فوراً، ويستعيذون بالله.
قال تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}
(الأعراف: 201)

فما إن يشعروا بوسوسةٍ حتى يتذكروا الله، فينقلب ضعفهم قوةً، وظلمتهم نوراً.

المؤمن لا يهزم ما دام ذاكراً متوكلاً، لأن الذكر يقطع تسلط الشيطان ويعيد البصيرة إلى القلب.

خطوات عملية للتحصين من الشيطان :

1. المحافظة على الأذكار: أذكار الصباح والمساء حصنٌ متين.
2. الإلتزام بالصلاة في وقتها، فهي صلة مباشرة بالله.
3. الرقية الشرعية للنفس والأهل والبيت بالقرآن.
4. الإكثار من الذكر.
5. قطع وساوس الخوف: لا تكرّس تفكيرك في السحر أو الحسد، بل وجه قلبك نحو التوكل واليقين.

الشيطان لا يستطيع أن يتسلط على قلبٍ عامر بذكر الله.

استحواذة لا يكون إلا على من غفل، أما الذاكرون، المتوكلون، الواعون لقوة ربهم، فلا سبيل له إليهم.

مظاهر نسيان ذكر الله :

1. نسيان الذكر بالقلب:
يغدو القلب لاهيًّا، لا يفكر في الآخرة ولا في إصلاح النفس، بل ينشغل بالدنيا وشؤونها السطحية.

2. نسيان الذكر باللسان:
يندر التسبيح والدعاء، وتضعف الأوراد.

3. نسيان الذكر بالجوارح:
يؤدي العبادات بلا روح ولا خشوع، كما قال تعالى:
{وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالً يُرَاءَوْنَ النَّاسَ}.
فتغيب الحياة عن الجسد، ويصبح الذكر عادة لا عبادة.

ظاهرة التصحر الإيماني :
ويقصد بها جفاف القلب الروحي
بعد خضرة الإيمان. وفقدان النشاط الإيماني.
ويبدأ حين يقلّ الذكر والقيام وقراءة القرآن، فيفقد القلب رطوبته ولذته، ويصبح هشًّا ضعيفًا
سريع الانكسار.

عواقب التصحر الإيماني :

1. ضعف الإلتزام الداخلي رغم المظهر الديني.
2. خلل في المعاملة والسلوك، كالمشكلات الأسرية والأخلاقية الناتجة عن غياب الإيمان الحقيقي.

العلاج والمقاومة :

الرجوع إلى الذكر.

المداومة على الأوراد والقيام والقرآن.

عدم الرضا بالتراجع الإيماني.

من لاحظ جفاف قلبه فليعلم أنها بداية الانهيار، فليجدد إيمانه قبل أن يتكسر الزرع تمامًا.

{أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ}

النتيجة من نسي ذكر الله صار من حزب الشيطان، الذين يسلكون طريق المعصية والبعد عن الحق، خسروا في الدنيا والآخرة.

الله عز وجل جعل الذل في المعصية، فلا ينعم المخالف بالاطمئنان حتى لو كان في موطن عز.
الغفلة عن الذكر ليست ذنبًا عابرًا، بل علامة انضمام إلى معسكر الخسارة.
الابتعاد عن الحق يجعل القلب دائمًا في خوف وقلق.
المعصية مهما بدت مغرية، تُدخل الإنسان في الذل والهوان.
الإلتزام بطاعة الله يمنح القوة الداخلية والطمأنينة.

يخدع بعض الناس أنفسهم حين يظنون أن ترك الطاعة تحرّر، فيتبرمون من أوامر الله لأنها "قيود".
لكنهم لا يدركون أن الخروج من طاعة الله ليس حرية، بل انتقال من عبودية الرحمن إلى أسر الشيطان؛
فمن رفض الانقياد لربّ رحيم، انقاد لعدوّ يريد له الهلاك.
الحرية الحقيقية أن تطيع من خلقك لكرامتك، لا من يقودك إلى مهانتك.

المفارقة بين نوعين من القيود :
قيود الطاعة: عزّ وكرامة، لأنها انقياد لمن يريد لك الخير ويهديك إلى التوبة.
قيود المعصية: ذلّ وامتهان، لأنها خضوعٌ لشيطانٍ يريد ضرك وإذلالك.
الاستحواذ الشيطاني اعتقال لا يُفك قيده إلا بتوبة صادقة، تعيد القلب إلى نور الذكر والطاعة.
أما من أصرّ على غفلته، فسيقع في قيدٍ أشدّ، في نارٍ لا فكاك منها.

الحرية الحقيقية هي في طاعة الله، لا في معصيته.
من ترك الطاعة صار عبدًا لهواه وللشيطان.

الطاعة عزّ، والمعصية ذلّ.

بقدر غفلة الإنسان يكون استحواذ الشيطان عليه.

خطة الشيطان المحكمة كما بيّنها القرآن الكريم

بيّن الله تعالى مكر الشيطان وخطواته المتدرجة في إضلال الإنسان، من الإغواء إلى السيطرة الكاملة:

1. الإغواء (الاستهواء)

الاستهواء هو بداية الطريق، حين يزيّن الشيطان الباطل فيضلّ العبد عن الهدى ويتهى بلا وجهة. قال تعالى:

{ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهَدَىٰ اتَّيْنَا قُلَّ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهَدَىٰ وَأَمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } (الأنعام: 71)

2. الزلل (الاستزلال)

بعد الإغواء، يدفع الشيطان العبد إلى الزلل والمعصية، مستغلاً ضعف النفس وآثار الذنوب. قال تعالى:

{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا } (آل عمران: 155)

3. الاستحواذ والسيطرة

هي المرحلة الأخيرة؛ حين يهيمن الشيطان على القلب والعقل حتى ينسى ذكر الله ويغلق باب التوبة. قال تعالى:

{ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ }

هي خطة محكمة، فمن أراد النجاة فليقطع الطريق من أوله، باليقظة ودوام الذكر والالتجاء إلى الله قبل أن يحكم الشيطان قبضته.

(الآية 20):

{ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ }

يحادون: يعادون ويخالفون أوامر الله ورسوله، يعيشون دائماً في الذل والخوف والاضطراب النفسي، مهما كانت مكانته.

(الآية 21):

{كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}
فالله تعالى غالب دائماً.

التمكين الزائف وثنم بيع الدين

فلو افترضت أن الكفار منحوك التمكين، وأعطوك السلطة والجاه، بشرط أن تكفر أو تنافق أو تهاجم الدين، أو تبيع دينك.
ففي الظاهر أنت في عزّة، تملك الصلاحيات والجاه، لكن في الحقيقة، أنت مهزوم عند الله، لأنك بعت دينك ومبادئك في مقابل الوصول إلى السلطان، فمن فهم هذه الآية أدرك ذلك.

{إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}

الله سبحانه وتعالى قوي وعزيز، لا يغلبه أحد، ولا يغالبه.

من أمثلة النصر أيضاً:

نصر الحجة، كما قال تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ}
ابن تيمية رحمه الله كان يُسجن، ومع ذلك كان هو العزيز، وأعداؤه الأذلاء.
يقول: "ما يفعل أعدائي بي؟ إن حبسوني حبسي خلوة، وإن قتلوني قتلي شهادة، وإن نفوني نفيي سياحة."

ولما أغلقوا عليه باب السجن، ذكر قوله تعالى:

{فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ}

وكذلك الإمام أحمد بن حنبل، عُدّب على يد الخلفاء لأنهم أرادوه أن يقول بخلق القرآن، فأبى، و ثبت على القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وظل يُعَدّب ثمانية وعشرين شهراً، ثم نصره الله ونصر منهجه، وكان هو المنتصر، وأعداؤه الأذلاء.

(الآية 22):

{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}

استخدام أسلوب النفي، أقوى من أسلوب النهي، يدل على استحالة وجود مثل هؤلاء.
(لأن النهي يقول: "لا تفعل"، أما النفي فيفيد أن هذا الفعل لا وجود له أصلاً).
المقصود أن الإيمان بالله لا يجتمع مع محبة أعداء الله،
ومحبة الرحمن لا تجتمع مع محبة أولياء الشيطان.
فمحبة الرحمن وأولياء الشيطان لا تجتمعان في قلب واحد.
يواد: من الود

أمر الله أن نعامل الكفار بالبرّ والعدل، كما قال تعالى:
{لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا
إِلَيْهِمْ}

فالمقصود بالبرّ والقسط هنا هو العدل والإحسان في المعاملة، لا المحبة القلبية.
يمكن للإنسان أن يعامل من لا يحب معاملة طيبة لله تعالى.
فالمعاملة الحسنة لا تعني المحبة، وإنما هي التزام بأمر الله في العدل والإحسان.
أما المحبة، فهي لا تكون لمن لا يحب الله.

من حاد الله ورسوله: من عادى الله ورسوله ورفض أو خالف أمره.

{وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ}

يقال نزلت في أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، حين قتل أباه يوم بدر رغم أنه كان يتحاشاه.

{أَوْ أَبْنَاءَهُمْ}

نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، إذ كان ابنه عبد الرحمن في صف المشركين يوم بدر،
فقال له أبو بكر بعد إسلامه: "لو رأيتك يوم بدر لقتلتك".

{أَوْ إِخْوَانَهُمْ}

نزلت في مصعب بن عمير رضي الله عنه، حين قتل أخاه عبيد بن عمير في بدر.

{أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}

وفيها قولان:

قيل نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين قتل قريباً له في بدر.
وقيل في حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، لأنهم قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر.

وفي أسرى بدر، لما اختار النبي صلى الله عليه وسلم الفداء، كان لعمر بن الخطاب رأي آخر، فقال:

"يا رسول الله، لا أرى ذلك، أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر، وتمكن علياً من عقيل، وتمكن فلاناً من فلان، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين".

فختم الله تعالى بقوله:

{أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ}

أي: أقر الإيمان، وجعله ثابتاً في قلوبهم.

فكلما أظهر العبد ولاءه لله وبراءته من أعدائه، زاد إيمانه وثبته الله أكثر، وهذه هي مكافأة الصادقين في الإيمان.

من يطيع الله ويضحي لأجله، فإن الله يكافئه، ويزيد الإيمان في قلبه، ويثبتته ويحفظه من الشيطان.

{وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ}

وقيل إن المقصود بالروح ■ هو القرآن، كما في قوله تعالى:

{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا}

فأله أيد المؤمنين بالقرآن، وبالإيمان، وبال دعوة، وبالعلم.

وقيل أيضاً: الروح هو جبريل عليه السلام، وهذا معنى عظيم؛ إذ إن من يتولى الله يؤيده بملائكته، ومنهم جبريل عليه السلام.

{وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}

أي جنات متعددة، تجري من تحت قصورها ومساكنها الأنهار، خالدين فيها، آمنين من الموت.

الموت هادم اللذات.

فمجرد تذكره يفسد على الإنسان متع الدنيا، لكن في الجنة لا موت، لذلك قال أهلها:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ}

لأن الحزن الأكبر في الدنيا هو الخوف من الفناء.

وقال تعالى عنهم:

{الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}

{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}

{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}

أعظم نعيم أهل الجنة: رضوان الله وهذه هي الجائزة الكبرى.

وقد ورد في الحديث أن الله يطلع على أهل الجنة فيقول:

«يا أهل الجنة، هل تريدون شيئاً أزيدكم؟» فيقولون: يا رب، وما الذي يمكن أن تزيدنا وقد أنعمت

علينا؟ فيقول: «أحلّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبداً».

فالجزاء من جنس العمل؛ لأنهم رضوا عن الله في الدنيا رضي الله عنهم في الآخرة.

قاعدة إيمانية:

من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه

ذكر الله الرضا بعد أن ذكر أنهم أسخطوا آباءهم وأبناءهم في سبيل الله، فخسروا رضا الناس

عنهم ليرضوا الله.

فكانت المكافأة أن الله رضي عنهم برضاه، وهذا أعظم ما يُنال.

من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه، ومن أسخط الناس برضا الله، رضي الله عنه ثم أرضى عنه

الناس.

{أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ}

يا له من وصف جميل

{أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

وهذه بشارة بأنهم المفلحون في الدنيا والآخرة.

وبهذا الختام الجميل تنتهي هذه السورة المباركة، نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم، ويرزقنا فهم

القرآن وتدبره.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.
أما بعد، فأهلاً ومرحباً بكم في اللقاء الرابع من لقاءات هذه الدورة الطيبة المباركة، دورة مدارس جزء "قد سمع".
اليوم بإذن الله سبحانه وتعالى نبدأ في سورة الحشر.

التعريف بالسورة

سورة الحشر مدنية بالاتفاق.

موضوعها الرئيسي يدور حول غزوة بني النضير، ولهذا كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول:
سورة الحشر هي سورة بني النضير، حيث إن الصحابة كانوا أحياناً يسمّون السور بأشهر موضوع فيها.

محاور السورة :

1. أحداث غزوة بني النضير:

وهي المعركة التي وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود بني النضير، وسنتحدث عنها بتفصيل لاحقاً.

2. أحكام الفيء:

وهو ما أفاءه الله على المسلمين من أموال بني النضير بعد الغزوة.

3. فضل المهاجرين والأنصار.

4. فضل من جاء بعدهم بإحسان الذين اتبعوا نهج الصحابة وكان في صدورهم سلامة لهم.

5. ذكر المنافقين وموقفهم:

حيث تعرّضت السورة لموقف المنافقين من غزوة بني النضير، وخاصة عبدالله بن أبي بن سلول الذي حرّض اليهود على الثبات وعدم الاستسلام، ووعدهم بالمدد ولم يفِ بوعد.

6. تشبيه المنافقين بالشیطان.

7. الخاتمة والمواعظ:

اختُتِمت السورة بالتذكير بتقوى الله والنظر في الآخرة، وذكر حال أهل الجنة وأهل النار، وأثر القرآن في القلوب، ثم الثناء على الله تعالى بأسمائه الحسنى.

الحديث عن يهود المدينة:

علم اليهود من كتبهم أن المدينة ستكون مهاجر نبيٍّ آخر الزمان، ولذلك أقاموا فيها ينتظرون ظهوره، وكانوا يقولون للعرب: سيأتي نبيٌّ نتنصر به عليكم، كما في قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (البقرة: 89) لكنهم لما علموا أن النبي من بني إسماعيل وليس من بني إسرائيل، كفروا به.

كان في المدينة ثلاث طوائف من اليهود :

1. بنو قينقاع
2. بنو النضير، الذين كانوا يرون أنفسهم أشرف الطوائف، بزعم أنهم من نسل هارون عليه السلام، وأنهم من الطوائف اليهودية التي لم تتعرض للجلاء عبر التاريخ.
3. بنو قريظة، وكانوا يعيشون في أطراف المدينة لا في وسطها.

المعاهدات مع اليهود :

عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، عقد معاهدة مع طوائف اليهود الثلاثة، تنص على السلم، وعدم الاعتداء على المسلمين، وألا يخونوا العهد أو يساعدوا الأعداء ضدهم. لكن حين خانت إحدى الطوائف، كان النبي صلى الله عليه وسلم مخيرًا فيهم بين أربعة أمور هي:

احكام التعامل مع المخالفين للمعاهدة :

1. العفو
2. الأسر (السبي)
3. الطرد أو الجلاء
4. القتل

قصة يهود بني قينقاع :

في شأن بني قينقاع حدثت واقعة مشهورة. بدأت الأحداث بتعرض صائغ يهودي لامرأة مسلمة في سوقهم فكشفت عورتها. فقتل رجل من المسلمين الصائغ اليهودي. فرد اليهود بقتل المسلم. اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك خيانة للعهد، فأجلى بنو قينقاع عن المدينة.

قصة يهود بني قريظة :

أما بنو قريظة فحدثت معهم مشكلة لاحقة بعد غزوة الأحزاب. فقد تعاونوا مع قريش وغطفان في غزو المدينة. كانوا متواطئين على خيانة النبي صلى الله عليه وسلم. فعرف أمرهم فأسر رجالهم ثم قتلهم وسبيت نساءهم وذرياتهم وقسمت أموالهم.

قصة يهود بني النضير :

الذين خانوا النبي صلى الله عليه وسلم فكان جزاؤهم الجلاء. {وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا}، كما أشارت إليه الآيات.

وعن سبب غزوة بني النضير فثمة روايتان :

الرواية الأشهر وقعت حادثة بئر معونة :

في صفر من السنة الرابعة من الهجرة ، تجرأ بعض العرب واستباحوا حال المسلمين بعد ضعفهم في غزوة أحد. فوقع حادث بئر معونة حيث غدر قوم وقتلوا سبعين من الصحابة. نجا منهم عمرو بن أمية الضمري، وفي الطريق أثناء رجوعه إلى المدينة نام تحت شجرة، فمرَّ عليه رجلان من بني كلاب (مشركين) فظنهم من قتلة أهل بئر معونة فقتلهم حين كانوا نيامًا. لما علم النبي صلى الله عليه وسلم تبين أن القتيلين كانا ممن بينهما وبين المسلمين عهد وأمان، فقرر النبي دفع الدية عنهما.

وبمقتضى المعاهدة بين النبي صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة كان المتفق عليه التعاون في سداد الديات. لذا توجه النبي إلى ديار بني النضير طالبًا مساعدتهم في الدية. جلس النبي صلى الله عليه وسلم بجانب جدار في بيت من بيوتهم يسند ظهره وينتظر المساعدة، ومعه أبو بكر وعمر وبعض الصحابة. فامتألت قلوب اليهود غيظًا وحقًا وتأمروا على قتله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: "أيكم يأخذ هذه الرchy فيصعد بها فيلقوها على رأس محمد فيشدها بها رأسه؟ فقال أشقاهم، عمرو بن جحاش: أنا. فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، فوالله ليُخبرن بما هممتن به، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينهم".

وبالفعل، أبلغ جبريل النبي بذلك فخرج مسرعاً من ديارهم ولحق به أصحابه، ثم حاصر النبي بني النضير فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بعث محمد بن مسلمة، إلى يهود بني النضير ليلبغهم أن: "لا تسكنوني في المدينة، وقد أجلتكم عشراً، فمن وجدته بعد ذلك منكم ضربت عنقه". فلم يجد اليهود مناصاً، فتجهزوا للخروج من المدينة، غير أن رئيس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول بعث إليهم أن اثبتوا وتمنعوا ولا تخرجوا من دياركم؛ ووعدهم بأربع آلاف رجل وأحلاف. فأنزل الله سبحانه وتعالى في سورة الحشر:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (الحشر: 11).

فعاقدوا ورفضوا الاستسلام. وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بنيتهم على القتال، فسار إليهم صلى الله عليه وسلم مقاتلاً وكان اللواء مع علي بن أبي طالب، حتى وصل وفرض الحصار، فالتجأ اليهود إلى حصونهم، وكانت نخيلهم وبساتينهم عوناً لهم، فأمر ﷺ بقطعها وحرقها، إغاية لليهود، ولتيسر القتال. وهذا ما أشارت إليه الآية:

{مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} (الحشر: 5).

و بعد حصار دام ست ليالٍ أو قيل خمسة عشر ليلة، ولم يأت مددٌ من المنافقين ولا من غطفان ولا من بني قريظة.

وألقي الرعب في قلوبهم واستسلموا. أذن النبي صلى الله عليه وسلم لهم أن يحملوا نساءهم وأطفالهم ومتاعهم على ستمائة بعير فقط. كان كل ثلاث بيوت يكتفون ببعير واحد، ولا يحملون سلاحاً، ومن حمل سلاحاً قُتل. طُردوا من المدينة إلى بلاد الشام، فقطعوا مئات الكيلومترات حتى وصلوا إلى أطراف بلاد الشام، بمنطقة تعرف بـ **أذرعات**.

الفية :

أخذ النبي صلى الله عليه وسلم أرض بني النضير وسلاحهم كله دون قتال فعلي.

من أخذ بهذا القول قال: إن غزوة بني النضير وقعت في أوائل السنة الرابعة من الهجرة.

الرواية الثانية عن سبب غزوة بني النضير :

أنها حصلت بعد غزوة بدر.

تذهب رواية أخرى إلى أن سبب غزوة بني النضير كان اتفاقاً بين قريش وبني النضير ضد النبي صلى الله عليه وسلم بعد بدر. كتبت قريش فيها: "إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين نسائكم شيء.".

فلما وصل الكتاب إلى اليهود قالوا فيما بينهم: "ينبغي أن نقاتل هذا الرجل حتى لا تهجم علينا قريش، فنحن نخشى الدوائر والمصائب." ففكر اليهود في حيلة مكرة، فبعثوا إلى النبي ﷺ وكأنهم يريدون التعرف على الإسلام، وقالوا له: "اخرج إلينا في ثلاثين من أصحابك ويلقاك ثلاثون من علمائنا، في مناظرة، فإن آمنوا بك اتبعناك" ثم راجعوا أنفسهم وقالوا: "ثلاثين عدد كبير، إن جاؤوا فقد ينصرونه، ولن نقدر على الغدر بهم." فقررروا أن يكونوا ثلاثة فقط. فعَدَّ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فرصة طيبة لعلمهم يدخلون الإسلام وهم بالذهاب إليهم. كانت هناك امرأة من بني النضير، أسلم ابن أخيها، فلما علمت بما دبره قومها من غدر، أرسلت إلى ابن أخيها المسلم وأخبرته بما يبيتون لهم من مكر، فبادر هذا الرجل بإخبار النبي صلى الله عليه وسلم بما علم. فجمع صلى الله عليه وسلم أصحابه، ثم خرج إلى بني النضير، وقال لهم: "إنكم لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه." فأبوا أن يعطوه عهداً، فقرر النبي ﷺ محاصرتهم، وبدأ الحصار، ثم جرت القصة كما تقدّم.

وبحسب هذا الاحتمال كانت الغزوة بعد غزوة بدر بستة أشهر، أي ربيع الآخر من السنة الثالثة للهجرة.

الفرق بين عرض السيرة وعرض القرآن للغزوات :

يعرض القرآن الغزوات من منظور القلوب، فيتحدث عن المشاعر، والصدق، والإيمان، والرعب، وثمرات الابتلاء، ويعرّفك بالله تعالى من خلال الحدث، فلا يركّز على الأجساد، بل على القلوب، وربطها بصفات الله تعالى واسمائه الحسنى.

وهذا الأسلوب القرآني يتكرر في الحديث عن الغزوات:
ففي سورة آل عمران: عرض الله تعالى ما جرى في غزوة أحد من جانب القلوب والابتلاء.
وفي سورة الأنفال: عرض ما جرى في غزوة بدر .
وفي سورة الحشر: عرض الله ما جرى في غزوة بني النضير من منظور تسبيح الخلق وتنزيه الله
عن النقص.

تعرض السيرة النبوية الأحداث والأعداد والأسباب الظاهرة، وكيف بدأ الحصار، ومتى انتهى، ومن
شارك فيه.

(الآية 1) :

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

أي نزه الله كل ما في السماوات وما في الأرض.

التسبيح هو تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص وعيب.

"سبحان الله" أي: أنزه الله عن كل نقص وعيب وظلم.

وهذا مناسب لغزوة بني النضير، فمن كمال الله تعالى أنه لا يترك الماكرين والمخادعين دون
جزاء، ولا يرضى أن يُمكر بنبِيِّهِ ﷺ دون أن ينتقم له، فالله منزّه عن أن يقرّ الظلم أو أن يُغلب على
أمره.

{مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}

أي إن جميع المخلوقات تسبحه.

إذا كان هذا حال الجمادات والمخلوقات التي لا تُحاسب، فالتسبيح والتنزيه أولى بالإنسان المكلف
المحاسب من غيره.

ارتباط أسماء الله الحسنى بسياق الآيات دقيق ومقصود، إذ يتناسب مع الموقف والحدث ومعنى
الآية، ليبرز كمال صفاته وجلال حكمته.

{الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

الاسمان مناسبان لسياق السورة:

العزیز: أي الذي لا يُغالب، ولا يُقهر، بل هو الغالب على أمره. "لا يُغالب" تعني أنه لا أحد يجرو
على محاولة مغالبتة.

{الْحَكِيمُ}

الذي يضع الأمور في مواضعها، فلا يظلم أحداً، ولا يُقضى شيء إلا بحكمة بالغة. فطرد اليهود من المدينة كان بحكمة وعدل لأنهم هم الذين خانوا وغدروا.

فلا يقال: "كان الأولى أن يُسامحهم" أو "كان الأفضل أن يُتركوا"، لأن الله هو الحكيم، وقضاؤه العدل والصواب.

التناسب بين أول السورة وآخرها :

اختُتِمت السورة بالاسمين نفسيهما اللذين افتتحت بهما:
{هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

وهذا ما يُسمّى في علم البلاغة بـ "حسن المناسبة"، أي التناسق بين افتتاح السورة وختامها.

(الآية 2) :

{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ} رغم أن المسلمين هم الذين حاصروا وأخذوا بالأسباب، إلا أن الله نسب النصر والإخراج إلى نفسه، فقال: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ} لتربية المؤمنين على التوحيد.

وهذا المعنى مشابه لقوله تعالى:

{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} (الأنفال: 17)

فالنتائج كلها بيد الله، ولو بذل الإنسان كل الأسباب، فإن الله وحده هو الذي يُقدّر النتائج ويمنح النصر أو يمنعه.

التوكل على الله والفضل له وحده:

حتى مع توافر جميع الأسباب والوسائل، يجب أن يُنسب كل فضل إلى الله وحده. هذا التوجه يعزز قدراتك ويجعلك أفضل،

ويجلب لك العون والتوفيق، بينما الاعتماد الكامل على النفس دون الاستعانة بالله قد يؤدي إلى الخذلان والفشل.

{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} تأكيد على أن الله هو الذي أخرجهم دون مقاومة منهم.

{الَّذِينَ كَفَرُوا}

هم اليهود بشكل رئيسي، وهذه الآية دليل على كفرهم، بالإضافة إلى كفر النصارى كما ورد في سورة المائدة:

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

(المائدة : 73)

نصّ القرآن على كفر من كذب بالرسول من اليهود والنصارى، ومن مات منهم على الكفر فهو من أهل النار، مخلص فيها، ولا يجوز الترحم على من مات على الكفر.

{لَأَوَّلِ الْحَشْرِ}

تحتل معنيين

1. القول الأول المكاني:

يشير إلى المكان الذي خرج إليه اليهود عند إخراجهم من المدينة، إلى أذرعات بداية بلاد الشام. وفي آخر الزمان يحشر الناس إلى الشام "أرض المحشر".

2. القول الثاني الزماني:

قد يشير إلى الزمن، أي أول حشر وقع لليهود، ثم قد يحدث حشر آخر لهم أو لغيرهم في آخر الزمان.

3. القول الثالث: زماني، أن الحشر الثاني كان زمن عمر رضي الله عنه، حين أخرجهم من خيبر.

بعض بني النضير استقر في خيبر، والبعض الآخر ذهب إلى الشام. عندما فتح النبي ﷺ خيبر أبقاهم هناك وفق ما يشاء الله، وبقوا حتى زمن عمر رضي الله عنه، الذي أجلاهم إلى الشام، فاعتبر هذا الحشر الثاني لهم. على أساس أن الحشر الأول كان ذهابهم للشام.

{مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا}

ظن الصحابة أن اليهود لن يُخرجوا وأنهم سيخوضون قتالاً مريراً، بسبب قوتهم وقوة أسلحتهم، فتعجبوا من ذلك.

{وَوَظَّنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ}

ظن بنو النضير أن حصونهم ستحميهم من الهزيمة. قدّمت الآية الخبر على المبتدأ لبيان شدة الثقة في قدرة الحصون على المنع، وتظهر قدرة الله على قهر من يشاء.

{فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}

يُرَكِّزُ الإنسان حساباته على عناصر القوة المادية من حصون وأسلحة وخطط، لكن الله تعالى يأتي بما لا يُحتسب.

{وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ}

ذلك جندٌ غيبيٌّ لا يُقهر، لا يطرق الأبواب ولا يحطم الجدران، بل يخترق القلوب مباشرة. ومتى استقر في القلب حُسم الأمر. يتلاشى حينها كل حساب مادي، وتنهار إرادة القتال، تتداعى الحصون ويسقط كل اعتماد على الأسباب المادية. وكما حدث مع يهود بني النضير الذين استسلموا داخل حصونهم المنيعة دون قتال، رغم عجز المسلمين عن اقتحامها مادياً.

كالطفل الصغير الذي يفر منه الجندي المسلح؛ فالمعركة الحقيقية تُحسم في الأعماق، قبل أن تبدأ في الميدان.

على المسلم أن يربط قلبه بالله ويحسن الظن به، مؤمناً بأن النصر قد يأتي بأضعف الوسائل ومن حيث لا يحتسب، سواء بالأزمات المادية أو بأن يسلّطهم الله على بعضهم، أو بالابتلاءات والزلازل.

فالقلب هو ميدان المعركة الحاسم، والاعتماد على الله والعمل بالأسباب مع اليقين بأن النتيجة بيده سبحانه، هو مفتاح كل فرج وتيسير.

الفرج من الله يأتي من حيث لا نحتسب، حين نصدق في الدعاء ونتوكل عليه، فأحسن اللجوء إلى الله مهما ضاقت الأسباب المادية.

{لَا يَغُرَّنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ}

(ال عمران: 196)

لا تغتر بقوة الأعداء فأقوى الأسباب المادية لا تقي من قدرة الله، فحتى في قمة ثقة العدو بما يملك، تنقلب الموازين من حيث لا يدري ولا يحتسب.

يمهّل الله الظالمين لكنه لا يتركهم دون حساب، فالعقوبة قد تتأخر لكنها حتمية عند وقتها، واحذر مكر الله سبحانه وتعالى، مع إدراك أن حكمه وتصريفه للأحداث حكمة لا تدركها العقول.

نزل اليهود على حكم النبي صلى الله عليه وسلم بالجلاء، وأمرهم برمي السلاح وألا يكون معهم إلا حمل بعير وأن يخرجوا على ستمائة بعير، فتقاسموا كل ثلاث بيوت بعيراً واحداً أثناء خروجهم، ملتزمين بأمر النبي ﷺ، في تطبيق دقيق للحكم الإلهي.

{يُخَرَّبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ}

يخربون تحمل معنيين معنوي ومادي.

1. المعنى المعنوي:

يخربون بيوتهم نتيجة نقضهم العهد مع النبي ﷺ ومعصيتهم لله، فالخراب هنا معنوي، كأن نقول لشخص يثير المشاكل في بيته: "أنت تخرب بيتك بيدك"، أي فساد البيت وعلاقاته بسبب أفعاله الخاطئة.

2. المعنى المادي:

تشير الروايات إلى أن بني النضير خربوا بيوتهم مادياً، وهناك ثلاثة احتمالات:

الاحتمال الأول: عند كسر المسلمين جزءاً من الحصن، كان اليهود يهدمون جزءاً من بيوتهم لسد الثغرة التي أحدثها المسلمون.

الاحتمال الثاني: أثناء تنقلهم وحملهم الأشياء على البعير، كانت لديهم مقتنيات ثمينة مثل الأبواب والشبابيك، فكانوا يخلعونها ويكسرونها لنقلها، لتعلقهم بها.

الاحتمال الثالث: كانوا يخربون بيوتهم وأبوابها وشبابيكها الغالية حتى لا ينتفع بها المسلمون.

{بأيديهم}

المعنى الحرفي هم باثروا بأيديهم خراب بيوتهم.

{وأيدي المؤمنين}

لا يقصد من أن المؤمنين خربوا البيوت بأنفسهم مباشرة، بل تشير إلى السببية، فـ "اليهود" تسببوا بذلك بسبب نقضهم للعهد أصبح سبباً لتدمير البيوت.

إذن، بني النضير خربوا بيوتهم بالمباشرة والسببية: مباشرتهم للتدمير بأيديهم، وسببهم في إحضار المؤمنين الذين أحاطوا بهم فتم التخريب.

{فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ}

الاعتبار: مشتق من كلمة العبور، والعبور يعني الانتقال من مكان أو حالة إلى مكان أو حالة أخرى. وبالمعنى المجازي: يشير إلى الانتقال من مشهد إلى آخر في تفكير الإنسان وعقله؛ فالناظر إلى أحداث الماضي، ويرى ما آلت إليه الأمور من عواقب، يستطيع أن يتعلم منها ويستخلص الدروس، فيتجنب الوقوع في مثل مصير الأقوام السابقة.

بينما ينتقل بصر الإنسان بين مشاهد الأحداث، تنتقل بصيرته بين العبر والدروس. فالناظر في عواقب الأمم السابقة ينتقل من مرحلة المشاهدة إلى مرحلة التفكير العميق، مستخلصاً الحكمة التي تحميه من الوقوع في المصائر ذاتها. الأبصار تعني بصيرة القلب السليم، فالذي يُرزق بصيرة يرى بها عواقب الأمور ويفكر في نتائجها، كما قال الله تعالى:

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} (محمد:10)
أي: سيروا في الأرض وانظروا نهاية من سبقكم، فاعتبروا يا أصحاب البصائر.

للأسف، كثير من الطغاة يجهلون الدروس التاريخية أو يعلمونها دون اعتبار، فيكررون أخطاء من سبقوهم، بينما قليلون فقط من يعتبرون.

الاعتبار بسوء الخواتيم:

كمن يشهد سوء الخاتمة عند الآخرين في الجنازات فلا يتعظ.

فمثلاً، إذا رأى الإنسان من ضلّ الطريق وساءت خاتمته، ورأى آخرَ استقام فنال خير الله وفضله، فليعلم أن اتباع طريق الضال لن يغيّر نهايته، فمن عاش على شيء مات عليه.

ولابد للإنسان أن يقيس ذلك على نفسه وأن يعتبر مما يرى ويسمع قبل فوات الأوان.

وقد استدللّ كثير من العلماء بهذه الآية على جواز مشروعية القياس، باعتباره أحد مصادر الاستدلال في الشريعة الإسلامية. (اعتبروا أي قيسوا وتدبروا).

القياس : هو استنباط حكم شرعي لمسألة جديدة لعلّة موجودة في مسألة أصلية.
فمثلاً: الخمر محرّم لعلّة السكر. فإذا ظهر شيء آخر مثل المخدرات ووجدت فيه نفس العلة (السكر)، يُحكم عليه بنفس الحكم، أي التحريم. ويُسمّى هذا قياس الفرع على الأصل.

(الآية 3) :

{وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ}
لو لم يقدر الله لهم الجلاء مسبقاً في قدره، وهو النّزوح والطرّد من المدينة إلى الشام لأهلكهم بالعذاب في الدنيا بالقتل والسبي.

الجلاء عذاب؛ ذلك لأنّ النّزوح يترتب عليه مشقة كبيرة: ترك الديار، أخذ النساء وكبار السن، والسير لمسافات طويلة جداً، وحمل الممتلكات على وسائل نقل هالكة، كل ذلك يشكل عذاباً

كتب عليهم الإذلال في الدنيا، والعذاب في الآخرة جزاء كفرهم وخيانتهم،

{لَعَذَّبُهُمْ فِي الدُّنْيَا}

الجلاء والنّزوح عن الديار هما عذابٌ بحدّ ذاته، لكنّ الآية تشير إلى أنّ العقوبة تتجاوز الجلاء إلى ما هو أشدّ منه، ألا وهو القتل والسبي.

فالجلاء هو عذابٌ في الدنيا، لكن القتل والسبي أقسى منه.

وخيرُ مثالٍ على ذلك ما حدث مع يهود بني قريظة، حيث كان القتلُ مصيرهم المُحتَم.

ومهما عَظُم عذاب الدنيا، فهو جزئيّ، أما عذاب الآخرة فهو الأكبر.

(الآية 4) :

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}

العلة في ذلك أنهم خالفوا الله ورسوله، وهي الشقاق بعينه، حيث يُصبح العبد في شِقِّ ودين الله في شِقِّ آخر.

هذا المعنى يتجاوز كونه حادثةً تاريخيةً ليكون قانوناً إلهياً شاملاً وقاعدة عامة للجميع، فالاعتبار هنا أن مخالفة الدين تشمل كل مظاهر المعصية، صغيرة كانت أم كبيرة فهي شقاق لله، لأنها خروجٌ عن أمره بغض النظر عن كون الفاعل يهودياً أو مسلماً سواء في الصلاة أو السرقة أو الرشوة أو الزنا أو أي معصية، فكلُّها تُعدُّ شقاقاً ومخالفةً لدين الله.

المفارقة الأليمة :

لقد كنّا أمةً عزيزةً بدينها، نوثر في موازين القوى ونحاسب المخالفين، مصداقاً لقول عمر رضي الله عنه:

«كنا أذلّ قوم فأعزّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزّنا الله به أذلّنا الله».

فلما ابتغينا العزة في غير دين الله، حلّ بنا ما حلّ من ذلّ وهوان، وأصبحنا نعيش تبعات النزوح والمصائب.

الخلاص لا يكون إلا بالعودة إلى الانتصار لدين الله، فهو سبحانه ينصر من ينصره، ويُعزّز من يعزّز دينه.

(الآية 5) :

{مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ}

كان النخل طويلاً جداً مقابل الحصون، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بحرق بعض النخل بهدف إغاية اليهود ومنعهم من استخدام النخل في القتال لأنهم كانوا يستترون خلفه. اللينة هي النخلة ذات التمر الجيد.

موقف بنو النضير من حرق النخل :

لقد شنّع يهود بني النضير على المسلمين، بإتهامهم بالتناقض قالوا: أقطعون النخل وتحرقونه وأنتم تزعمون الإصلاح، حاولوا إظهار فعل المسلمين كمخالفين لدعوى الإصلاح والصلاح، واتهامهم بالإفساد في الأرض

{فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ}

فكان رد الله تعالى حاسماً بهذه الآية الكريمة فقد:

جعل الله الفعل مشروعاً بإذنه الشرعي، وبالإذن الكوني لأنه قد وقع بالفعل، ودافع الله تعالى عن المسلمين بين أن المقصود إخزاء الفاسقين الغادرين

تأكيد أن المصلحة العامة في تحقيق النصر تبيح مثل هذا الفعل.

فالشناعة الحقيقية كانت في غدرهم وخيانتهم.

الأصل في الغزوات النبوية منع الإفساد في الأرض، مع النهي عن قطع الأشجار وإتلاف الممتلكات دون مبرر.

فائدة من قوله تعالى:

{فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ}

يكفيك حجة وسنداً.

لاتسمح لأحد أن يشنع عليك في دينك وبما شرع لك :

اعتز بإيمانك، لن يستطيع أحد أن يلقي اللوم عليك فيما أذن الله لك به، لذلك لا تسمح لأحد أن يهجم على شرع الله في حياتك:

- إذا سُئِلْتُ: "لماذا ترتدين الحجاب؟" - فقولِي بثقة: "بإذن الله".
- وإذا أنكر الآخرون عدم مصافحتك للجنس الآخر - فقل: "بإذن الله".
- إذا رفضت الخروج مع خطيبك دون محرم فاشهري قولك: "بإذن الله".
- إذا امتنعت عن التعامل بالربا: "بإذن الله".

لا تستحي أبداً من دينك؛

فأنت بالإسلام أعز وأقوى.

موقف المسلم عزة وإيمان : لم يكن الإسلام يوماً في قفص الاتهام، ولن يكون شرع الله ناقصاً حتى يبرر أحد اختلافه عنه. فالمؤمن يتحرك بعزة وكرامة، لا بغرور، لأنه يعلم أن دينه كامل، وأن من ينتقده ليس أكمل من الله، لا تكتف بالدفاع عن دينك، بل واجه بثبات من يشك فيه، فالحق معك، والعزة لدين الله.

قل بفخر: "هذا بإذن الله"، وافتخر بالعمل بما أمر الله به. واعتز بالانتساب إلى شرع ربك

لا تخف أبداً مما أذن الله لك به، فما دام الله قد أذن فهذا هو الحق.

(الآية 6) :

{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}
الفيء: يطلق على الظل عندما ينتقل من جهة إلى أخرى.

وفي الاصطلاح :

هو المال الذي يؤخذ من الكفار بغير قتال.
فكما أن الظل ينتقل من مكان إلى آخر بسلاسة وبدون مشقة، كذلك مال الفيء يأتي للمسلمين بسهولة ويسر من غير حرب ولا قتال.
{فَمَا أَوْجَفْتُمْ}
ما أسرعتم ولا بذلتهم جهداً.

{وَلَا رِكَابٍ}

لم تركبوا الإبل للقتال أو السفر.
{وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ}
بتأييد الله.

تشير هذه الآية إلى أن فيء بني النضير كان حالة خاصة للنبي ﷺ، لأنه لم يكن في سياق قتال خارج المدينة، بل داخلها، فكانت أموالهم داخل المدينة ولم يتطلب أخذها سفراً ولا قتالاً.

(الآية 7) :

{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

الفرق بين الفيء والغنيمة :

الغنيمة:

هي المال الذي يؤخذ من الكفار بالقتال.
وتقسم إلى: خمسة أخماس: أربعة أخماس للمقاتلين، وخمس يُصرف في المصارف الشرعية الخمسة: " لله وللرسول، وذو القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل".

مصارف الغنمة:

تقسم خمسة أخماس:

أربعة أخماس للمقاتلين.

الخمس المتبقي يصرف على خمسة وجوه:

1. لله وللرسول: وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ "خمس الخمس" يصرفه على بيوته، وباقي

خمسه يصرفه على أمور المسلمين العامة.

2. لذي القربى: وهم بنو هاشم وبنو المطلب.

3. اليتامى: الصغار الذين فقدوا آباءهم قبل البلوغ.

4. المساكين: الفقراء الذين لا يجدون كفايتهم.

5. ابن السبيل: المسافر المنقطع في بلاد المسلمين، الذي انقطعت نفقته، فيُعطى ما يكفيه حتى يعود إلى بلده.

الفِيء :

هو المال الذي يؤخذ من الكفار بغير قتال، ولا يخصص منه للمقاتلين، لأنهم لم يبذلوا جهدًا في أخذه.

يُصرف الفيء كله للمصارف الشرعية الخمسة :

لله وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

الحكمة من توزيع الفيء :

لإغناء هذه الأصناف الخمسة، وتوزيع الأموال كي لا تكون محصورة عند الأغنياء، وتحقيق عدالة

اجتماعية واقتصادية. منح الفقير مصدر دخل آخر من الفيء (إضافة إلى الزكاة)، المحافظة على

مستوى معيشي معتدل للمجتمع وتقليل الفجوة بين الغني والفقير، وقاية المجتمع من الفساد

والجرائم والرأسمالية، ومن البغضاء بين الطبقات.

تحت الشريعة الإسلامية على التكسب والعمل.

{ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ }

دولة من التداول؛ أي لا تكون الأموال متداولة بين الأغنياء فقط.

تفسير آيات الفيء في القرآن :

آيات الفيء الرئيسية هي الآيتان السادسة والسابعة من سورة الحشر.

القول الأول لبعض المفسرين :

يروا أن الآية السابعة تشرح وتفصل الآية السادسة وتشير إلى أن أموال بني النضير كانت فَيْئًا خاصًا للنبي صلى الله عليه وسلم، ذكرت في الآية إجمالاً، بينما جاءت الآية السابعة مفصلة مصارف هذا الفئ تفصيلاً. وبذلك تكون الآية السابعة توضيح للآية السادسة.

2. القول الثاني لجمهور المفسرين :

إن الآية السادسة تخص النبي صلى الله عليه وسلم فيء بني النضير، فهذا الفئ خاص به، ويفعل به ما يشاء. أما الآية السابعة فتتحدث عن عموم أي فيء بعد ذلك، فيرجع لمصارفه الخمسة: لله وللرسول، ولذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

ومما يدل على صحة القول الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم تصرف في الفئ كيفما شاء فوزع المال على المهاجرين وبعض الفقراء من الأنصار مثل سهل بن حنيف وأبي دجانة. لأن بني النضير كانوا داخل المدينة، و "لم يُوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب". وغالب الفئ يكون من أموال أخذت من خارج المدينة.

{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}

ما آتاكم من الأموال، خذوه وارضوا بقسمته دون اعتراض. وكذلك ما آتاكم من الأوامر الشرعية.

بدليل قوله تعالى: {وَمَا نَهَاكُمْ} فالحديث ليس عن المال فقط.

"فالأمر بأخذ ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أمرٌ قرآني واجب الاتباع.

الآية دليل على بطلان دعوى الاكتفاء بالقرآن دون السنة:

من يدعي الاكتفاء بالقرآن فقد خالف القرآن نفسه، لأن القرآن أمر باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن زعم الاكتفاء بالقرآن فقد ترك العمل بهذه الآية، لأن القرآن نفسه يُحيل على السُّنة. قال الله تعالى:

{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} (النحل: 89)

فيقول بعض الناس: إذا كان القرآن تبياناً لكل شيء، فليس هناك حاجة إلى السنة.

التبيان في القرآن على نوعين:

1. بيان مباشر من القرآن نفسه، كالمواريث.
2. بيان بالإحالة إلى السنة، كالوضوء، أي أن القرآن يوجهنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لبيان بعض الأحكام التي تُفَصِّل ما أُجْمِل فيه وللمزيد من الأحكام.

القرآن والسنة متلازمان، فالسنة مبيّنة للقرآن، ومن تركها فقد خالف القرآن الذي أمر باتباع الرسول ﷺ، والعمل بها هو عمل بالقرآن.

استدل ابن مسعود بهذه الآية على حُجِّيَّة السنة.

قد جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت: "يا ابن مسعود، بلغني أنك تنهى عن الوصل وتقول إن الله لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، وقد قرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أجد ما تقول."

فرد عليها قائلاً: "لو قرأته جيداً لوجدته، ألم تقرئي قول الله تعالى: {وَمَاءَ آتَنَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}؟"

ثم قال: "فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لعن الله الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة."

فبهذا بيّن ابن مسعود أن من يعمل بالقرآن حقاً، فعليه أن يعمل بما جاءت به السنة.

{وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}

تحذير من ترك ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم، أو فعل ما نهى عنه، أو التقصير في اتباع سنته.

نسأل الله السلامة والعافية، وأن يوفقنا لفهم كتابه وتدبره، والعمل به وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم،

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد: مرحبًا بكم في لقاء جديد من مدارس جزء «**قد سمع**». بفضل الله قد أنهينا سورة المجادلة وبدأنا سورة الحشر، وقد تناولنا في اللقاء الأول سبب نزولها المتعلق بغزوة بني النضير، وما تضمنته من أحكام الفبيء ومقاصده الشرعية، وانتهينا إلى قوله تعالى **{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ}**

سنواصل اليوم تدبر الآيات (8-15).

(الآية 8)

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}

{لِلْفُقَرَاءِ}

أي أن أموال الفبيء تصرف لهؤلاء، وهي مرتبطة بالآية السابقة قوله تعالى:

{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ}

الفبيء: ما أخذه المسلمون من أموال الكفار دون قتال.

الفرق بين الفبيء والغنينة:

الغنينة تُقسم أربعة أخماس للمجاهدين، والخمس المتبقي للأقسام الشرعية الخمسة

أما الفبيء فيوزع كله على مصارفه الخمسة:

لله والرسول: فكان صلى الله عليه وسلم يأخذ منه ما يكفيه وأهله، ثم ينفق الباقي في مصالح المسلمين.

لذوي القربى: هم آل النبي من بني هاشم وبني المطلب، عوضهم الله بالفبيء لأنهم لا يأخذون من الزكاة.

اليتامى: من فقد أباه وهو صغير، وغالبًا يكون فقيرًا.

المساكين: من لا يجد كفايته.

ابن السبيل: المسافر المنقطع يُعان حتى يرجع ولو كان غنيًا في بلده. ولا يُطالب برد المال لأنه استحقه ساعة الأخذ، وهذا من كرم الإسلام.

قال تعالى:

{كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}

الغاية الاقتصادية للفيء؛ حتى لا تُحتكر الأموال بين الأغنياء، فيقيم الإسلام توازنًا اقتصاديًا فريدًا؛ فيتوسط يقرّ التملك الفردي لكنه يُوجب حقًا معلومًا للفقراء.

الإسلام منهجٌ وسطي بين الشيوعية التي ألغت الملكية ظلمًا، والرأسمالية التي أطلقتها بلا ضوابط وأباحت جمع المال بأي وسيلة ولو محرّمة. فصار المال فيها بيد الأغنياء، وحُرم الفقراء من حقهم، وانتشار الربا والفوائد فنتج عن ذلك مجتمعٌ تزداد فيه الفوارق وتغلب عليه الفاقة.

جاءت آيات القرآن الكريم وهدمت النظامين؛ كما في قوله:

{وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}

(المعارج: 24-25).

{فِي أَمْوَالِهِمْ}

دمرت النظام الشيوعي فنسبت المال إلى صاحبه واثبتت الملكية.

{حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}

هدمت الرأسمالية؛ حيث أعطت الفقير حقًا في مال الأغنياء، كالزكاة والصدقات.

أما في الإسلام لك حق التملك، وفي مالك حق معلومٌ لغيرك، فجعل الله الفيء كله للفئات التي تحتاج للإعالة فيحصل على الحياة الكريمة والكفاية.

مرونة توزيع الفيء لتحقيق المصلحة العامة:

لا يُشترط توزيع المال بين فئات الفيء بالتساوي، بل يجوز تغليب فئة على أخرى بحسب الحاجة. فإن كثر المساكين مثلاً ولم يوجد ابن سبيل، جاز صرفه لهم كله. فالأمر راجع لاجتهاد الإمام بما يحقق المصلحة العامة.

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ}

أي أن أولى الناس بالفيء هم المهاجرون الذين تركوا أموالهم وديارهم لله ورسوله ﷺ، كما في غزوة بني النضير بداية العهد المدني حين كانوا أشدّ الناس حاجة، لأنهم ضحوا بدمائهم في سبيل الله.

نماذج من المهاجرين وتضحياتهم :

كان فيهم الفقراء وفيهم الأغنياء الذين افتقروا.

عندما أراد صهيب الهجرة، اعترضت قريش طريقه ومنعته من الذهاب بماله الذي جمعه طوال حياته، فقالوا له: "أتيتنا صعلوكًا حقيرًا ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟" رد صهيب عليهم بعرض لا يُرفض: "أرأيتم إن تركت لكم مالي كله، أتخلون سبيلي؟". فوافق المشركون على طلبه،

وفي المدينة استقبله النبي صلى الله عليه وسلم بابتسامة وقال له: "ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى".

ونزل فيه قوله تعالى:

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}
(البقرة: 207)

وكذلك عبد الرحمن بن عوف وأبو بكر وغيرهم ممن تركوا أموالهم نصرةً للدين.
{الْمُهَاجِرِينَ}

سمى الله تعالى المهاجرين بهذا اللقب تكريمًا لهم على هجرتهم لله ورسوله ﷺ. قال النبي ﷺ عن مكة: «والله إنك لأحب أرض الله إلي، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت».

{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ}

أي أجبروا على الخروج، بسبب إكراه الكفار لهم، فتركوا المال والديار وتحملوا صعوبات المجهول بإيمان وثقة بالله، ولم يكن هدفهم أي غرض دنيوي

{يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}

وهي شهادة وثناء من الله بصدق نياتهم وإخلاصهم، لنصرة الله ونبيه، موافقين لحديثه صلى الله عليه وسلم:

«إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله».

شهد الله سبحانه وتعالى لهم مما يعكس مكانتهم العالية وتضحياتهم العظيمة في سبيل الدين، وصدق نواياهم.

{أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}

علو منزلتهم وكمال صدق إيمانهم عند الله.

ثناء الله على المهاجرين في القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى:

{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}
(التوبة:100)

وقال تعالى:

{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ}
(التوبة:117)

واتفق علماء أهل السنة مجمعون على أن المهاجرين أفضل من الأنصار إجمالاً، وإن كان بعض الأنصار قد يُفْضَل على بعض المهاجرين.

والتفضيل العام للمهاجرين ثابت لأسباب عديدة:

القرآن قدّمهم دائماً على الأنصار

سبقوا بالإسلام

هم سبب إسلام الأنصار

ضحوا بأموالهم وتركوا ديارهم لنصرة الله ورسوله.

المهاجرون هم أولى الناس بمال الفيء كما ذكر سبحانه في الآية.

ثم بعدهم يأتي

(الآية 9)

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}
أي أن الذين يأخذون من الفيء أيضاً هم الأنصار رضي الله عنهم، الذين استقروا في المدينة والإيمان في قلوبهم قبل قدوم المهاجرين، فجمعوا بين الدار والإيمان قبل اللقاء.
وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يوزع الفيء على المهاجرين ثم الأنصار ثم التابعين.
{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ}
أي سكنوا المدينة واستقروا.

{وَالْإِيمَانُ}

لها احتمالين في التفسير:

الاحتمال الأول: أن في الآية محذوفًا مقدّرًا، أي أن المعنى: الذين تبوّؤوا الدار والتزموا الإيمان، أو اعتنقوا، أو اعتقدوا.

الاحتمال الثاني: أنه لا حذف فيها، والمعنى على ظاهره؛ أي سكنوها، و"تبوّؤوا الإيمان" أي استقر الإيمان في قلوبهم، وهو تعبير بليغ عن قوة إيمان الأنصار وثباتهم عليه إلى الموت، وكأنهم يسكنون في الإيمان كما يسكنون في بيوتهم. الثناء على قوة يقينهم.

{مِنْ قَبْلِهِمْ}

أي أن الأنصار جمعوا بين الدار والإيمان قبل المهاجرين، إذ آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة قبل قدومه إليها، وأكثرهم آمن به سماعًا دون أن يراه، مما يدل على سرعة استجابتهم ورقة قلوبهم، ويظهر الفرق بينهم وبين أهل مكة الذين عاشوا معه طويلاً ولم يؤمن أكثرهم. ثناء الله تعالى على الأنصار:

1. {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ}

ثناء على يقين الأنصار ومحبتهم للمهاجرين يظهر صفاء قلوب الأنصار وعظيم خُلُقهم؛ فقد أحبّوا المهاجرين بصدق رغم أنهم شاركوهم في طعامهم وشرابهم، لا لمصلحة أو مجاملة، بل إيمانًا وإخاءً.

تقديم المحبة على الإيثار:

قدّم الله المحبة على الإيثار لأن المهاجر يحتاج أولاً إلى القبول والموودة قبل المساعدة المادية، فالشعور بالحب والتقدير أعمق أثراً من العطاء.

درس لأهل الإحسان؛ الفقير لا يحتاج إلى المال فقط، بل إلى نظرة احترام تُشعره بالمساواة والكرامة. قال تعالى:

{قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذىٌ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ}

(البقرة: 263)

فالكلمة الطيبة والابتساماة أعظم من صدقةٍ يصحبها منّ أو أذى. لذلك قدّم الله ذكر المحبة قبل الإيثار تأكيداً لأهمية البعد النفسي.

2. {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا}

صفاء قلوب الأنصار يظهر في خلوها من الحسد والضيق مما أُعطي المهاجرون من فضل وثناء، فقبلوا نصيبهم برضا، وازداد حبهم لإخوانهم مع علمهم بفضلهم عليهم..

3. {وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}

أي يقدمونهم على أنفسهم في حاجاتهم الأساسية، ويقاسمونهم القليل الذي يملكونه، في أسمى صور الإيثار.

إسقاط المعنى على الواقع :

وهذا الدرس باقي لكل زمان؛ فكما احتضن الأنصار المهاجرين بحب وإيثار صادق، ينبغي للمجتمعات اليوم أن تحيي هذا الخلق في التعامل مع المحتاجين والنازحين، لتكون نموذجا في الرحمة والاحتواء كما كان الأنصار رضي الله عنهم.

لم يبلغ أحد مرتبة الأنصار في المحبة والإيثار:

بدأ الله مدحهم بقوله: {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ}، أي استقبلوا المهاجرين بمحبة صادقة لا مجاملة فيها، وقالوا بقلوبهم قبل ألسنتهم: "جئت وأنا أحبك، خذ من رزقي وأنا راضٍ"، فكان حبهم نابعا من إيمان خالص.

بلغ إيثار الأنصار قمته حين عرضوا على النبي ﷺ أن يقاسموا المهاجرين أصول النخل، وهو أعز أموالهم، فرفض ذلك واكتفى باشتراكهم في الثمر دون العمل في الزراعة لعدم خبرتهم بها. ومع ذلك قبل الأنصار برضا وسخاء، فصدق فيهم وصف الله تعالى. فقد جمعوا بين كمال المحبة وتمام الإيثار، فكانوا أسمى مثال في البذل والعطاء.

{وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}

أي الحاجة الشديدة أو الفقر.

وقد فسرها المفسرون بمعنيين:

المعنى الأول: أن معناها الاختصاص أو التفرد، أي أن الإنسان في حالة احتياج فريدة لا يشبهه أحد في هذا الضيق.

والمعنى الثاني: أطلقه العرب على المسافات الضيقة بين جريد النخل، والتي كانت تسمى "خصاصة"، ثم أطلقت على الفقر الشديد.

معنى الآية هو أن الأنصار كانوا يقدمون المهاجرين على أنفسهم حتى في أشد حالات الحاجة والفقر، يقاسمونهم طعامهم وشرابهم القليل ويقدمون مصالحهم على مصالحهم الخاصة. مواقف من حياة الأنصار في الإيثار:

يروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم محتاجًا، فأرسله عليه الصلاة والسلام إلى نسائه يسأل عن الطعام، فلم يكن لديهن إلا الماء، فقام رجل من الأنصار باستضافة الضيف وأمر زوجته بإكرام ضيف رسول الله وإعداد الطعام ولو بالكاد يكفي الأسرة، وأعدوا له السراج وأطفأوا ضوءه، وأظهروا أنهم يأكلون، بينما الضيف هو الذي أكل وحده. وعندما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، أخبره الوحي فقال: "لقد ضحك الله الليلة أو أعجب الله بصنيعكما"، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

موقف سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف: آخى النبي ﷺ بينهما، وكان سعد أغنى الأنصار، وعرض نصف ماله على عبد الرحمن، لكنه رفض وأراد أن يتكسب بنفسه ويعمل، محافظًا على العفة والوسطية.

يظهر هذا أن الإيثار لا يتعارض مع الكرامة والعفة، وأنه أعظم عندما يكون قائمًا على رغبة صادقة في خدمة الآخرين.

واستقبل الأنصار المهاجرين في المدينة بكرمٍ عظيم، وآثروهم على أنفسهم، حتى قال المهاجرون كما في الحديث:

"يا رسول الله، ما رأينا مثل إخواننا الأنصار، في مواساة في فقر، أو بذل في كثير، حتى خشينا أن يذهبوا بالأجر كله."

فقال لهم النبي ﷺ مطمئنًا ومربيًا:

"لا، ما دعوتكم لهم وأثنيتم عليهم."

من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه. شكر المعروف يكون إما بالمكافأة أو بالدعاء والثناء. الإيثار يكون في أمور الدنيا فقط، لا في أمور الآخرة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"لا يؤثر أحدكم في الصف الأول".

الإيثار في الدنيا هو أن تُقدّم أخيك في الأمور الدنيوية من مال أو طعام أو حاجته، أما في الطاعات وأُمُور الآخرة فالأجر لمن سبق.

من الأمثلة على ذلك قصة سعد بن خيثمة مع أبيه يوم بدر، حيث اقترعا أيهما يخرج، فخرج سعد وقُتل شهيداً رضي الله عنه.

الإيثار والكرم في مواجهة الشح

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"أفضل الصدقة جهد المقل".

لما يكون معك القليل.

وقال أيضاً:

"سبق درهم ألف درهم".

فالقيمة ليست في كمية العطاء، بل في صدق البذل.

المحن هي التي تظهر معادن الناس.

يبلغ الإيثار قَمَّتَه حين يقدّم المرء غيره على نفسه وهو في حاجةٍ إلى ما يؤثر به، فيمنح رغم قلة ما عنده واحتياجه الشديد.

أما المنافقون فكانوا يضمرون كراهية شديدة للمهاجرين، ويقولون ساخرين: "هؤلاء جاءوا

فأخذوا طعامنا وشرابنا"، حتى قالوا كما ذكر الله تعالى عنهم:

{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا} وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ {

(المنافقون:7)

{وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

أي من حفظ من شَرِّ الشح فقد فاز ونجا.

المقصود بالشح والفرق بينه وبين البخل:

الاحتمال الأول: إن الشح أشدّ من البخل؛ فالبخل يبخل بما في يده فقط، أما الشح فيبخل بما في يده ويطمع فيما في أيدي الناس.

وقيل: الشحّ هو بخل مع حرص، أي أن الإنسان يُخرج المال وهو كاره.
وقيل: الشحّ أن تبخل على نفسك وعلى غيرك معًا، أما البخل أن تبخل على غيرك.
وقيل: الشحّ فهو أخذ أموال الناس بغير حق، أي أنه لا يكتفي بعدم أداء ما عليه، بل يعتدي على حقوق الآخرين، أما البخل هو الإمساك عن الحق الواجب.

الشحّ في مجمله أسوأ وأشدّ من البخل، لأنه يجمع بين البخل والحرص والظلم.
قال ﷺ:

"إياكم والشح، فإنما أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا".

والشح سببٌ في هلاك البيوت وقطيعة الأرحام وأكل أموال الناس بالباطل.

تغير الأنصار بالقرآن :

كان الأنصار قبل الإسلام غارقين في العصبية، خاضوا حروبًا طويلة بين الأوس والخزرج دامت أربعين سنة بسبب ناقة، حتى جاء الإسلام فطهر قلوبهم، فأصبحوا يؤثرون غيرهم على أنفسهم ولو كانوا في حاجة.
وهذا هو أثر القرآن في النفوس. فمن لم يتغير بالقرآن، فالقرآن حجة عليه.

مكانة الأنصار وثناء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم :

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"من أحب الأنصار أحبه الله، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله".

وقال أيضًا :

"آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار".

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

الأنصار شعار، والناس دثار، لو سلك الناس فجًّا وسلك الأنصار فجًّا لسلكت فجّ الأنصار، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار."

(الآية 10)

{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}

{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ}

أي كل من جاء بعدهم إلى يوم القيامة، بشرط أن يتبعوهم بإحسان.

علامات الإيمان بعد جيل الصحابة من المهاجرين والأنصار:

1. حبّ المهاجرين والأنصار.

2. الدعاء لهم بالمغفرة.

3. سلامة القلب تجاههم.

الرد على الشيعة في طعنهم بالصحابة:

تُظهر هذه الآية بطلان مذهب الشيعة؛ لأنهم يبنون عقيدتهم على الطعن في المهاجرين والأنصار إلا من كان من أهل البيت، مع أن الله أمر بالدعاء للصحابة بالمغفرة، فدل على أنهم ماتوا على الإيمان والدعاء بالمغفرة لا يكون إلا للمؤمن، لقوله تعالى:

{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}

(التوبة: 113)

فمن أمر الله بالدعاء له بالمغفرة فهو مؤمن، وهذا ينقض زعمهم بأن الصحابة ارتدّوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

وكل الصحابة ماتوا على الخير، قد رضي الله عنهم كما قال تعالى:

{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}

(الفتح: 18)

فكيف يُتهم من رضي الله عنهم بالكفر أو الردة؟

الفتنة بين الصحابة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه:

فبعد مقتله وقعت الفتنة بين الصحابة، مثل واقعة الجمل بين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه والسيدة عائشة رضي الله عنها، وكان فيها الزبير وطلحة رضي الله عنهم.

اختلافهم كان في مسألة اجتهادية: هل يُقتل عثمان أولاً، أم يُبايع عليّ أولاً؟

فتسلل المنافقون وأشعلوا الفتنة حتى وصلت إلى القتال، فقتل الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، ثم تكرّر الخلاف بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما، ووقع القتال.

ورغم الفتنة، بقيت القلوب سليمة؛ فقد بكى عليّ على طلحة والزبير، وعاد بالسيدة عائشة إلى المدينة مكرّمة بعد حادثة الجمل.

منهج أهل السنة من الفتنة بين الصحابة:

أولاً: السكوت عمّا شجر بينهم، فلا نخوض في تفاصيلها إلا لردّ الشبهات.
ثانياً: سلامة الصدر تجاه جميع الصحابة شرط الإيمان، وعلامة أهل الإيمان.
بعض ردود التابعين على حادثة الفتنة:

ورد أن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، المعروف بزين العابدين حفيد الإمام عليّ رضي الله عنه، جاءه رجل يريد إثارة الفتنة فقال له: "ما تقول في عثمان؟"
فأدرك الإمام مقصده، فقال له:

"هل أنت من الفقراء المهاجرين الذين قال الله فيهم:
{الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ}؟"
قال الرجل: لا.

قال: "فهل أنت من {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ}؟ قال: لا. قال له زين العابدين: فإذا لم تكن من هؤلاء ولا من هؤلاء، فليس لك إلا أن تكون من الذين قال الله فيهم:
{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}
فإن لم تكن من هؤلاء الثلاثة، فلست من أهل الإيمان.
أي أن المؤمن لا يخرج عن أحد هذه الأصناف الثلاثة: المهاجرون، الأنصار، أو من جاء بعدهم
مُحبّاً لهم وداعياً لهم بالمغفرة.

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «تلك دماء عصم الله منها سيوفنا، فلنعصم منها ألسنتنا».
الصحابة كلهم في الجنة :
بدليل قول الله تعالى:

{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ
الْفَتْحِ وَقَتْلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوَا ۚ وَكَلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ۚ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}

(الحديد : 10)

{وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}

الْغِلَّ يعني الحقد والتحامل على الآخرين، وهو ثقل على النفس، ومن نعم الله على العبد أن يطهر قلبه منه، وذلك من نعيم الجنة.

درجات الناس في الغل:

من لا يزول غلّه أبداً، وهو من أسوأ الناس.

من يحتاج وقتاً وجهداً ليصفو قلبه.

من يُسامح سريعاً وهو

أفضلهم .

مخموم القلب:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «التقي النقي مخموم القلب صدوق اللسان». قالوا: صدوق اللسان

نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي النقي، لا غلّ فيه ولا حسد».

وروي عن رجل من أهل الجنة أنه كان يبيت كل ليلة وليس في قلبه غلّ ولا حسد لأحد من

المسلمين.

تعلّمنا الآية أن الدعاء يطهر القلب، فالشفاء يبدأ بالتوجه إلى الله ليزيل الغلّ والعجب والكبر

والرياء من قلوب المؤمنين. كما دعا يوسف عليه السلام:

{ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ

الْجَاهِلِينَ }

(يوسف: 33)

سلامة القلب أقصر طريق إلى الجنة.

من صفات أهل الإيمان الدعاء لإخوانهم بظهر الغيب:

كانت أم الدرداء تقول:

لقد كان أبو الدرداء يدعو كل ليلة لثلاثمائة وستين من أصحابه. فقالت له: ألا تدعو لنفسك؟

فقال: «إني أحب أن يقول لي الملك: ولك بالمثل».

وكان الإمام أحمد يدعو كل ليلة لشيوخه، ومنهم الإمام الشافعي.

خُلِقَ ينبغي أن نُحييه فلنجعل الدعاء لبعضنا عادة دائمة نتواصى بها ونُكثر منها.

(الآية 11)

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ

وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ }

الآيات متتابعة؛ ذكر الله أولاً المهاجرين والأنصار، ثم المؤمنين عامة، ثم ذكر المنافقين.

قال تعالى عن المؤمنين:

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا}

فالمؤمن أخو المؤمن، والمنافقون إخوان اليهود.

أنواع الأخوة في القرآن :

1. أخوة النسب:

{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِلْسَّالِكِينَ}

(يوسف:7)

2. أخوة القبيلة أو البلد:

{وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا}

(الأعراف:65)

3. أخوة الدين:

{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ}

(التوبة:11)

{يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا}

والمقصود هنا أخوة العقيدة الفاسدة، فالمنافقون ويهود بني النضير ملة واحدة.

اليهودي كفره وعداوته صريحان، أما المنافق أخطر لذلك هو في الدرك الأسفل من النار.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا}

المقصود نفاق عبد الله بن أبي بن سلول وجماعته:

حيث وعدوا بني النضير بأنهم سينصرونهم، ثبتهم ووعدهم قائلاً لهم: سنأتيكم بغطفان وأربعة

آلاف مقاتل، ولن نطيع النبي ﷺ فيكم أبداً، ولو قُوتلتم لقاتلنا معكم.

{لَئِنْ أَخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ}

أي لن نطيع النبي صلى الله عليه وسلم مهما أمرنا فيكم.

{وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}

الأخوة الكاذبة في موقف المنافق مع اليهودي، يختلف عن الأخوة الصادقة وموقف الأنصار مع

المهاجرين. فالأخوة المبنية على عقيدة صحيحة تُثمر أفعالا صادقة، أما الأخوة المبنية على عقيدة

فاسدة فتثمر وعدا كاذبة.

من فوائد الآية الكريمة :

حرص المنافقين على بقاء اليهود؛ إذ إنَّ بقاء المنافقين مرتبطٌ ببقاء الكفار. قال تعالى:
{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ}
(المائدة:52)

خافوا أن تكون الدولة لهم، فالمنافقون يظهرون ولاءهم للكفار ليكسبوا رضاهم ويأمنوا شرهم.
من علامات المنافق :

1. المنافق سليط اللسان على المؤمنين، ولطيف اللسان مع الكافرين. قال تعالى:
{سَلَقُواكُمْ بِالْسِنَةِ حَدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ}
(الأحزاب: 19)

2. مع المؤمنين يخذلهم ويبيعهم ويثبطهم، ومع الكافرين يظهر الدعم والمساندة. في غزوة أحد
قال المنافقون:

{قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ}. (آل عمران:167)

أمثلة على نفاق المنافقين :

{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا}.
(الأحزاب:18)

{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا}
(الأحزاب:12)

{إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ} (الأحزاب:13)
وما قصدوا إلا الفرار والخوف.

{وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ} وَلَتَعَرَّفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ}
(محمد:30)

{وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}

علم الله شامل يعلم كل شيء: ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.
كما في قوله تعالى:

{بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}.
(الأنعام:28)

فهنا تفيد العلم، وليس غلبة الظن.

{وَأَمَّا الْعِلْمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا}.

(الكهف:80)

كان واقعًا بالفعل بعلم الله.

(الآية 12)

{لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيْنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ}

{لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ}

علم الله ما سيكون.

{وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ}

لم تقع لأنهم لم يقاتلوا، فلو وقع القتال ما قاتلوهم.

{وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيْنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ}

حتى لو وقع القتال، فإن الله يبين أن المنافقين لن يقاتلوا بإخلاص، لأن الجبن جزء من طبيعتهم، فلا يواجهون المؤمنين صراحةً، ولا يظهرون كفرهم العميق. فالله علم ما في قلوبهم وأخبرنا بذلك، مبيناً حقيقتهم قبل وقوع الأحداث.

(الآية 13)

{لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ }

{لَأَنْتُمْ }

الصحابه خاصة، والعموم يشمل كل المؤمنين المتقين.

الرهبه: الخوف مع التعظيم، أي الخشية المقرونة بالإجلال لقوة المؤمنين.

قوة إيمان المؤمن تمنحه رهبةً أمام المنافقين، حتى لو بدت قوته للآخرين ضعيفة أو عادية.

من خاف من الله خاف منه كل شيء، ومن لم يخف من الله خوفه الله من كل شيء.

الإيمان يكسو المؤمن بمهابة ترفع قدره أمام الأعداء، فالمنافق يهاب المؤمن لصدق إيمانه، رغم ضعفه الظاهر.

الصحابه كانوا يفرضون رهبة على خصومهم:

سيدنا خالد بن الوليد حاصر حصناً وقال للعدو: "أتيتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة"، فاستسلموا فوراً.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}

الفقه هو الفهم.

الفقيه يعلم أن كل الأمور بيد الله، فيقدم رضا الله على رضا الناس، أما المنافق يقدم رضا الناس على رضا الله، لجهله بحكمة الله وقدرته.

من يفقه أمر الله يخافه ولا يخاف البشر، ويوازن الأمور بحسب مشيئته.

كل المصير، الملك، الرزق والحساب بيد الله وحده.

(الآية 14)

{ لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ }

جميعاً: أما المنافقين وحدهم، أو المنافقين مع اليهود

فهم لا يستطيعون مواجهة المؤمنين وجهاً لوجه، بل يقاتلون من وراء جُدُرٍ أو قري مُحَصَّنَةٍ، وليس بالمواجهة المباشرة.

المعارك الحديثة تظهر أن الأعداء غالباً يقاتلون من وراء الحواجز والجدران، لتجنب المواجهة المباشرة

مثل الجدار العازل مع الفلسطينيين أو خط بارليف مع المصريين، أو باستخدام الطائرات والصواريخ، دون مواجهة مباشرة. هذا الأسلوب لا يحتاج إلى شجاعة حقيقية، فالمواجهة المباشرة هي دليل القوة والجرأة.

الشجاعة الحقيقية في القتال المباشر والالتحام، كما بين النبي صلى الله عليه وسلم عند وصفه للشهداء الذين يؤمنون من فتنة القبر: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رُءُوسِهِمْ فِتْنَةً».

حتى المخترع الروسي للرشاش "كلاشينكوف" قال: «اليوم ماتت الشجاعة»، لأن استخدام الأسلحة من بعيد يجعل الجبان يساوي الشجاع.

القوة والشجاعة تظهر في المواجهة المباشرة، والجبن يتجلى في القتال من وراء الحواجز.

{بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ}

شدة العداوة والخصومة بينهم فهم دائماً مختلفين مع بعضهم البعض، ويظهرون الرجولة والقوة أمام بعضهم البعض، لكن عند مواجهة المؤمنين ينهارون ويظهر جبنهم.

{تَخَسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}

هم متفرون، ولا يجتمعون إلا على عداوة المسلمين، وعند مواجهة المؤمنين ينهارون ويظهر جبنهم.

فلا عقيدة ثابتة، كل تحركاتهم صادرة عن دوافع دنيوية، على عكس المسلمين الذين يجتمعون على عقيدة راسخة.

الاختلاف بين الأعداء ووحدة المصلحة:

في الحرب العالمية الأولى والثانية، كان الكفار مختلفين داخلياً، وتصارعوا فيما بينهم، لكن بعد انتهاء الحروب أسسوا دولة اليهود لتوحيد صفوفهم ضد عدو مشترك، وهم المسلمين، فتوقف الصراع الداخلي مؤقتاً.

اليوم، المعارك بين الدول مثل أوكرانيا وروسيا تظهر أن هذه الاختلافات مستمرة، وأن أي نزاع قد يؤدي إلى حرب كبرى، مما يبيّن أنهم على المستوى الحقيقي مجتمعون على مصالح دنيوية، لكنهم داخلياً متفرون ومتناقضون في مواقفهم.

الوحدة والتعاون أساس قوة المسلمين

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ}

العقل يدرك أن الاجتماع قوة والفرقة هزيمة، فيختار وحدة الصف لأنها طريق النصر على الأعداء.

اتحاد المسلمين مقابل فرقة الأعداء :

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}

(الأنفال:46)

(الآية 15)

{كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

{مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا}

سيقع لأعداء المسلمين اليوم ما وقع لمن سبقهم من الكفار.

قيل ذلك بنو قينقاع، الذين كشفوا عورة امرأة وقتلوا مسلماً فطردهم النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل كذلك الكفار في بدر، حيث لاقوا الهزيمة نتيجة أفعالهم.

لذلك، يجب التعلم من هذه الأحداث، فالآيات تُذكر بعاقبة الظالمين والغافلين وتحض على التدبر والعمل.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد، فأهلاً ومرحباً بكم في اللقاء السادس من لقاءات دورة مدارس "قد سمع". بفضل الله تعالى.

مضامين سورة الحشر :

بدأت السورة بغزوة بني النضير، ثم تطرقت بعد ذلك إلى الفيء وأحكامه، ثم إلى فضل المهاجرين والأنصار، وفضل من جاء بعدهم ممن سلم صدره واتبعهم بإحسان، ثم تناولت صفات المنافقين، وضربت لنا مثلاً في مكرهم وخذلانهم لليهود الذين اعتمدوا عليهم، وكيف خيَّبوا آمالهم. وبعد ذلك سارت السورة في بيان مكر الشيطان بالإنسان، وكيف يوقعه في المعصية، ثم في الإعراض عن الله، لتختتم السورة بحديث عن الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة، والتحذير من نسيان الله.

الغاية من المدارس هو الحفظ والتدبر :

الغاية من مدارسنا أن نحفظ ونتدبر، فالسور في جزء "قد سمع" تحتاج مجاهدة في الحفظ، ولكن الفهم يسهل الحفظ كثيراً.

تُصَوِّر الآيات مكر الشيطان بالإنسان، إذ يغريه بالكفر ثم يتبرأ منه، كما فعل المنافقون مع يهود بني النضير حين وعدوهم بالنصرة ثم خذلوهم، فصاروا مثل الشيطان مع الإنسان في الخداع والغدر.

ختام السورة:

وختمت السورة بالتنبيه على وجوب الاستعداد للآخرة، وتقديرها على الدنيا، وأن لا يكون الإنسان من الغافلين الذين نسوا الله ففقدوا أنفسهم، فالفوز الحقيقي لأصحاب الجنة. كما أوضحت أن سبيل النجاة هو تدبر القرآن والخشوع له، لأن من عرف الله حق المعرفة وخشع لكلامه رق قلبه، لأن القلب إذا خضع للوحي خشع وتصدّع من خشية الله، ومن لم يتأثر به فذلك دليل على قسوة قلبه. ولذلك ختمت السورة بذكر أسماء الله الحسنى لتغرس الإيمان والخشية في القلوب.

(الآية 16)

{ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }
كلمة "كمثل" جاءت لتبين أن ما فعله المنافقون باليهود هو مثل ما يفعله الشيطان بالإنسان؛
يوهمه ويمنّيه ويعدّه، حتى إذا وقع في المعصية تبرأ منه.
وهذا تمامًا ما فعله المنافقون حين وعدوا اليهود بالنصرة ثم خذلوهم، كما قال تعالى:
{ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيْنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ } (الحشر: 12)

وفعلًا، حدث ما وُعد به؛ إذ تعهد عبد الله بن أبي بن سلول لليهود أن يمدّهم بجيش من غطفان
قوامه أربعة آلاف مقاتل، لكنه لم يفِ بوعدّه، وتخلّى عنهم وقت الشدة، حتى إنه كان يوم
خروجهم منشغلًا بالأكل غير مبالي بمصيرهم.

وهذا حال من يتبع الشيطان يخرجّه من دينه كما أخرج اليهود من المدينة.
فالله تعالى شبّه هذا الموقف بموقف الشيطان الذي يغري الإنسان بالكفر ثم يتبرأ منه .

{ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ }

تأتي كلمة "الإنسن" هنا على وجهين في التفسير:

القول الأول أن (أل) هي أل الجنس ، أي أن المراد بها جنس الإنسان كله؛ فالشيطان يقول لكل إنسان
على وجه الإغراء والمعصية: "اكفر"، بمعنى ادخل في طاعته ومعصية الله.

وهذا هو القول الأرجح والأقرب، لأن الشيطان يعمل هذه الحيلة مع جميع بني آدم، كما قال الله
تعالى في موطن آخر:

{ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ
الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ
الْعِقَابِ } (الأنفال: 48)

فالشيطان يزین للناس المعاصي ويغريهم بالأمانى، ثم يتبرأ منهم إذا هلكوا، ويعلن ذلك يوم
القيامة. كما قال تعالى:

{ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّنْ
سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ
بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (ابراهيم: 22)

وهذه من أشد لحظات العذاب في النار؛ حين يخطب الشيطان في أتباعه متبرئاً منهم بعد أن أهلكهم.

القول الثاني (أ) للعهد:

أي تشير إلى إنسان معلوم معهود في الذهن.

وقد ورد عن أغلب السلف كابن عباس وابن مسعود وبعض التابعين كقتادة أنهم ربطوا الآية بقصة وردت في كتب بني إسرائيل، وهي قصة برصيصا العابد.

استخدام الإسرائيليات في التفسير ومعنى ذكر سبب النزول :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : "حَدِّثُوا عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ."

وهذا ما يُسمِّيه العلماء استعمال الإسرائيليات في التفسير، أي نقل أخبار من أهل الكتاب ما دامت لا تخالف القرآن والسنة، وتُذكر للعة لا لإثبات سبب نزولٍ قطعي.

فالسلف حين ذكروا قصة برصيصا العابد لم يقصدوا أن الآية نزلت بسببه، بل أرادوا أنها تنطبق على حاله، فقولهم "نزلت في فلان" يعني أنها تشبه موقفه وتصف حاله، لا أنها سبب النزول.

قاعدة في تفسير القرآن أن سبب نزول الآية يكون بعد الحدث مباشرة ومقارب لها.

كما قالوا عن قوله تعالى:

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}

(الأعراف:175)

أنه نزلت في بلعام بن باعوراء، أو في أمية بن أبي الصلت، "وكلاهما ينطبق عليه الوصف" لا أنه سبب النزول.

والفائدة من ذلك ضرب المثال وزيادة بيان الآيات.

قصة برصيصا العابد كما وردت في الإسرائيليات :

وتعد مثالا صارخا على مكر الشيطان وخداعه.

يُروى أنه كان في بني إسرائيل عابد يُدعى برصيصا، وكان له شأن في العبادة، فأتاه أربعة إخوة من اليهود كانت لهم أخت جميلة، وكانوا خارجين للغزو، فقالوا له: "يا عابد الله، إن لنا أختًا لا نأمن عليها، فهل تقبل أن تبقى عندك حتى نعود؟"

فقال: "لا يصلح أن تبني امرأة عندي في صومعتي". فقالوا: "نبني لها بيتًا قريبًا من صومعتك، ونوصيك بطعامها وشرابها فقط". فوافق بعد تردد.

وفي البداية كان يضع طعامها على باب صومعته وهي تأتي لتأخذه دون كلام. ثم جاءه الشيطان وقال له: "هذه المرأة تخرج كل يوم أمام الناس، وقد يؤذيها أحد، لو وضعت الطعام على باب بيتها لكان أستر لها." ففعل، وكانت تلك الخطوة الأولى.

ثم وسوس له الشيطان قائلاً: "ما دمت توصل الطعام إليها، سلّم عليها وسلّ قلبها، فهي وحيدة قد تستوحش". فصار يسألها من وراء الباب: "كيف حالك؟ أراك بخير؟"

ثم محادثات أطول، حتى جلس يحدثها من داخل البيت. ثم وقع في الزنا بها، فحملت منه، فخشي أن يفتضح أمره، فقتلها ودفنها سرًا. فلما رجع إخوة المرأة من غزوتهم، سألوا عنها فقال: "مرضت ثم ماتت"، فصدّقوه لمارأوا صلاحه.

لكن الشيطان جاءهم في المنام جميعًا وقال: "إن أختكم لم تمت، بل قُتلت، وهي مدفونة في موضع كذا".

فلما استيقظوا وحكى كلُّ منهم للآخر المنام، عرفوا أن الرؤيا واحدة، فذهبوا إلى الموضع فوجدوا القبر والجثة. فأخذوا العابد ليقتلوه، فجاءه الشيطان في تلك اللحظة وقال: "أنا الذي أوقعتك فيما ترى، وأنا القادر على خلاصك، فاسجد لي سجدة واحدة وسأنجيك." فسجد له، فقبضت روحه وهو ساجد للشيطان، فمات على الكفر.

هذا هو منهج الشيطان مع الإنسان دائماً: لا يبدأ بالكبيرة، بل يخدع الإنسان بالتدرّج، حتى يقع في الفخ.

ولهذا قال الله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ}

(النور: 21)

و في موضع آخر:

{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}

(ص : 82)

رسالة الشيخ للشباب بين السطور :

1 . خطوات الشيطان تبدأ بما يبدو خيراً؛ يزين للإنسان الطريق بأمنياتٍ كاذبة كالحب أو المكسب، حتى يوقعه في المعصية ثم يتبرأ منه وتركه نادماً.
كما قال الله تعالى:

{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ} (الحشر: 16-17)
العاقل يميز الفخ من بدايته، ويفرق بين النصيحة الصادقة وخداع الشيطان المتزيّن بثوب الخير.

2 . لا تصدق الكلام دون الأفعال من يدّعي التقوى تكشف حقيقته بأفعاله لا بكلماته؛ فالشيطان قال:

{إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}
(الحشر: 16)

وهو الذي عصي!

فلا تصدق من يخالف شرع الله باسم المودة أو النية الطيبة، فذلك باب من أبواب الفتنة.

3 . لا تقل "أنا ضحية"، فكل إنسان مسؤول عن اختياره، والشيطان لا يبدأ بالمعصية مباشرة، بل بخطواتٍ تبدو بريئة حتى يُسقط الإنسان دون أن يشعر.

4 . غاية الشيطان ليست المعصية ذاتها، بل إضلال الإنسان تدريجياً؛ فيبدأ بخطواتٍ تبدو بريئة كنصيحة أو عمل خيري أو تواصل بريء حتى يوقعه في الفخ دون أن يشعر.

(الآية 17)

{فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ}

نال الشيطان والإنسان جزاءهما العادل؛ لأن الإنسان اختار طريق الضلال بإرادته، فكلاهما في النار، وفي ذلك بيانٌ لعدل الله الذي لا يُجازي أحداً بغير عمله.

هدف الشيطان ليس مجرد الزلة، بل إبعاد الإنسان عن الله وتبديل قلبه، ويخطط طويلاً ليُفسد الإيمان خطوة بخطوة، حتى يصل للكفر..

(الآية 18)

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}

الطريق للنجاة من مكر الشيطان :

1. محاسبة النفس أولاً بأول

احرص على مراجعة نفسك عند كل خطوة: هل ترضي الله أم تغضبه؟ وإذا وجدت خطأ، عد فوراً إلى التوبة ولا تؤجلها.

الدنيا قصيرة، فاجعلها طاعة. قال تعالى:

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ}

(يونس: 45)

{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى}

(النازعات: 46)

الدنيا سريعة الزوال، فصبرك في الطاعة خير من انغماسك في الملذات، فالآخرة هي الباقية.

قال الإمام الشافعي:

"إن لله عباداً فطناً، طلقوا الدنيا وخافوا الفتن، فجعلوها لُجَّةً، واتخذوا صالح الأعمال فيها سُفناً."

احذر من الغفلة، فالخطوة الأولى البسيطة قد تكون البداية، ابتعد عن النظرة المحرمة، الكلمة،

الرسالة، المزاح فللشيطان خطوات صغيرة حتى الوقوع في المعصية قال تعالى

{إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} (لقمان: 13)

{اتَّقُوا اللَّهَ}

2. تقوى الله :

خاطب الله تعالى المؤمنين مرتين في الآية نفسها بـ "اتَّقُوا اللَّهَ" اجعل بينك وبين الله وقاية بفعل

الطاعات وترك المنكرات واجتناب معصيته. لأن التقوى هي رأس كل فضيلة، وهي التي تحفظ

القلب من الانزلاق في طريق الشيطان.

{وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}

غد أي يوم القيامة، وسماه "غداً" إشارة إلى قربهِ الشديد.

وهو أمرٌ بالمحاسبة الدقيقة للنفس، أن تنظر ماذا أعدت ليوم القيامة،

فاليوم حياة، وغداً موت، وبعده حساب، وكأن الآخرة غد الإنسان الحقيقي،

العاقل يحاسب نفسه قبل أن يُحاسب، ويزن أعماله بميزان الآخرة قبل أن تكتب في صحيفته.
العاقل يصنع لغده.

قال قتادة: "ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد."

فمهما طالت الدنيا، فستذهب سريعًا. قال تعالى:

{وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}

(الحج: 47)

يشعر الإنسان أن عمره يمر سريعًا عندما يراجع حياته ويدرك سرعة انقضاء الوقت.

قال الحسن البصري رحمه الله:

يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يومك ذهب بعضك.

إذًا، "غد" ليست بعيدة، بل هي أقرب من طرفة عين؛ فكل نفس يُزهق، وكل عمر يُقضى، يقربنا خطوة إلى ذلك الغد الموعود.

تأملات في معنى "غد" وقرب الآخرة:

إنَّ الله تعالى استخدم كلمة "غد" ليوّظ فينا الشعور بقرب الآخرة، فالمؤمن لا يرى الدنيا إلا محطة عابرة.

قال تعالى:

{يَقُولُ يَلْبِثُنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي} (الفجر: 24).

وهذا يدل على أن الحياة الحقيقية ليست هنا، بل هناك، في الدار الآخرة.

وكل عمل يقدّمه الإنسان في يومه سيجده أمامه غدًا:

{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ}. (آل عمران: 30)

فمن نظر لنفسه الآن، وراجع أعماله، ووازن بين ما قدّم وبين ما ضيّع، نجا يوم يلقي ربه.

{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} (الروم: 55)

{وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ

وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} (يونس: 45)

مهما طالت الدنيا فهي كاليوم لاتستحق العناء.

لو تأمل الإنسان حياته، سيجد أن عمره في الدنيا قصير جدًا مقارنة بيوم القيامة، وكأن خمسين أو ستين سنة مجرد لحظة أمام طول ذلك اليوم.
قال تعالى:

{قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِّينَ * قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (المؤمنون: 112)

هذا الإدراك بحقيقة الدنيا يخلق شعورين:
الخوف من قصر الزمن وسرعة الحساب.
التحفيز على اغتنام كل لحظة في الطاعة والعمل الصالح.
قال الإمام الشافعي:

"إن لله عبادًا فطنًا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
علموا أن السلامة فيها ترك ما فيها فجعلوها لجة،
واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنًا"

يقول ابن القيم:
من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر. ومن عرف طبيعة الطريق تأهب للسفر.
الدنيا قصيرة كالنهار ولا تستحق العناء، هذا البؤس الطويل الذي في الدنيا هو بالنسبة للإنسان طويل في أيام الدنيا، لكنه بالنسبة للآخرة لا شيء.

{وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}

حاسب نفسك بدقة كما تحاسب شريكك في كل تفصيل: أين ذهبت؟ ماذا فعلت؟ ولم أنفقت؟
فهذه هي المحاسبة الحقيقية.

إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح
حاسب نفسك كل نصف يوم: أذكارك، أقوالك، أفعالك، صلاتك، واجباتك، وهل كانت خطواتك
صالحة أم خبيثة. المحاسبة اليومية تحافظ على سير حياتك على الطريق الصحيح، وإلا قد تفاجأ
عند الموت بأنك أهملت كل شيء.

{وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}

الله يعلم ما في القلوب والسرائر؛ لا يكفي المظاهر أو الكلام، فهو خبير بصادق الأعمال والمتظاهرين، والله مُطلع على كل حال لك، لا يُخدع.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

"حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتهيأوا للعرض الأكبر على الله."

فمحاسبة النفس تشبه وزن الحقائب في المطار، فإذا زادت الوزن دفعت غرامة.

قيّم أعمالك باستمرار واحرص على وزن حسناتك ووزن سيئاتك بميزان يوم القيامة حتى لا تتفاجأ قال تعالى:

{وَبَدَأَ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} (الزمر: 47)

العاقل هو من يستثمر أيامه في طاعة الله والعمل الصالح، ليؤمن غده في الآخرة، لا من يضيع حياته هباءً.

فالذين يغفلون عن ذكر الله وعن طاعته ينسون أنفسهم ويهدرون حياتهم، بينما العاقل يبني مستقبله بالأعمال الصالحة فلا يندم، بل يقول بفخر ورضا: "قدمت".

{يَقُولُ يَلَيِّتْنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} (الفجر: 24)

تعكس حال من يندم يوم القيامة على تقصيره في الدنيا ويتمنى لو أن أعماله الصالحة سبقت فوات الوقت، فتكون درس للغافلين في استثمار كل لحظة من حياتهم.

تصوّر ندم من قصر في دنياه، فيتمنى لو قدّم عملاً صالحاً قبل فوات الأوان، لتكون عبرة للغافلين عن اغتنام أعمارهم.

قال الحسن البصري تعليقاً على الآية:

"إذا مات ابن آدم، قال البنون ماذا ترك؟ وقالت الملائكة ماذا قدم؟"

فما يتركه الإنسان في الدنيا ممتلكات مادية، أما ما قدمه للآخرة فهو ما يُحسب له يوم القيامة.

{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (يونس: 62)

الذين ينسون الله بالغفلة عن ذكره وطاعته، تضيع حياتهم في الخسارة والدمار، لا يلتفتون

لمصالحهم وتؤول أعمالهم كلها إلى الخراب والدمار. فكثير من الناس يضيعون حياتهم في

المحرمات ويستمررون رغم خسارتهم الدائمة، لأن الله أنساهم أنفسهم بسبب الغفلة عن طاعته.

مواجهة النفس: إن غفلت واتبع الهوى، فستحصل نتائج أفعالك، وقد تدمر حياتك بيدك، بدلاً من السعي لما يصلح مستقبلك.

(الآية 19)

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}

النسيان هو الذهل عن الشيء، أو بمعنى الترك، وهو المقصود في الآية الكريمة، إذ تُصوّر حال من ترك ذكر الله وأعرض عن طاعته حتى نسي نفسه. نسيان الله يعني ترك أوامره والإعراض عن ذكره، فجَزَّاه الله بأن أنساه نفسه؛ فحرمه رحمته وتوفيقه ورعايته. فيصبح غافلاً عن مصلحته وخلاصه، منغمساً في شهوات الدنيا، بلا صلاة أو عبادة أو طاعة، يعمل بما يضره ويهلك نفسه، حتى يفاجئه الموت وهو في غفلة تامة.

عقوبة نسيان الله :

إن أعظم عقوبة ينالها من نسي ربه أن يُنسيه الله نفسه، فيُهمّلها ويقودها إلى موارد الهلاك. فلا ينتفع بعقلٍ يهديه، ولا بعظةٍ توقظه، فيعيش تائهاً في غفلةٍ ولهوٍ وشهواتٍ، كأنما خُلق للدنيا وحدها. وهذا حال كثيرٍ من الناس اليوم؛ تغشاهم الهموم وتلاحقهم المشاكل واضطرابات الحياة، ويشكون قلة التوفيق، فيظنون أن ما أصابهم حسدٌ أو سحر، وما هو إلا أثرُ بُعدهم عن الله ونسيانهم له. لقد صارت بيوتهم مأوى للشيطان بعدما خلت من ذكر الرحمن، ولا صلاح لهم إلا بالتوبة الصادقة، والعودة إلى ربهم الذي بذكره تطمئن القلوب وتنصلح الأحوال. فاحذر الغفلة.

{أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}

فسقت الحبة يعني خرجت.

الفاسقون: أي الخارجون عن طاعة الله، الذين فسدت قلوبهم فلم يعودوا يشعرون بخطر المعصية أو بثقل الذنب.

قال ابن القيم رحمه الله: عقوبة نسيان الله أن يُنسيك نفسك، فتُهمّلها وتُوردها موارد الهلاك، فلا تنتفع بعقل ولا بعظة.

(الآية 20)

{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}
تركت الآية تقدير الاستواء مفتوحاً، غير محدد، وهذا من جمال القرآن، فهو يترك مجالاً للتدبر.

قال الحسن البصري رحمه الله:
من لم يعمل للجنة لم يدخلها، ومن لم يتقي النار لم ينج منها.

ولهذا ختم الله الآية بقوله:

{أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}

أولاً لا يستوون في العقيدة: أصحاب الجنة مؤمنون بالله ورسله واليوم الآخر والقدر، وأصحاب النار يكفرون بالله ويعبدون الباطل.

ثانياً لا يستوون في العمل: أعمال أصحاب الجنة صالحة من صلاة وصيام وبر وإحسان وعدل، بينما أعمال أصحاب النار فاسدة ومنكرة.

ثالثاً لا يستوون في حالهم في الدنيا: المؤمن يعيش حياة طيبة رغم الابتلاءات، ويعيش في أنسٍ وسكينة وراحة قلب، أما الكافر فيعاني ضنكاً وشقاءً. قال تعالى:

{إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} (النساء: 104).

رابعاً لا يستوون في الخواتيم: المؤمن ينتهي بخاتمة السعادة، والكافر بخاتمة الشقاء.

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (سورة الجاثية: 21)

{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} (ص: 28)

خامساً لا يستوون عند نزاع الروح، تأتي ملائكة طيبة لتبشر المؤمن بالجنة، فتخرج روحه بسلاسة وراحة، بينما الكافر تأتيه ملائكة سوداء تنزع روحه بعذاب شديد.

سادسًا لا يستوون في القبر: قبر المؤمن واسعٌ منيرٌ، جليسه عمله الصالح، وقبر الكافر ضيقٌ مظلمٌ، يُطبق على أضلاعه، وجليسه عمله الخبيث.

سابعًا لا يستوون عند البعث: المؤمن يُستقبل بالسلام والكرامة والملائكة الكرام، والكافر يُستقبل بالعذاب والإهانة.

ولا يستوون في أرض المحشر، عند الميزان والصراط، وتطاير الصحف، ولا في المآل.

الأعمال الصالحة ترفع المؤمن وتسهّل طريقه، بينما أعمال الكافر تثقل عليه الطريق وتؤدي به إلى الشقاء.

ثامنًا لا يستوون في الاختيار : المكاسب الدنيوية قليلة وزائلة، أما المكسب الحقيقي فهو لأهل الجنة. القرار الآن يعود لك، الالتزام بطاعة الله وترك المعاصي .

(الآية 21)

{لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}

الآية تحمل العتاب، لو نزل القرآن على جبل، لتصدعت صخوره خشية لله الجبال اعتذرت عن التكليف

{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} (الأحزاب : 72)

فقلب الإنسان المكلف أولى أن يخشع القلب عند سماع القرآن، فلا يكون صلبًا أو قاسيًا كالجبال الصماء.

بعض القلوب في قسوتها كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة:

{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (البقرة: 74)

فأحسن رعاية قلبك عند سماع الموعظة.

قال الحسن البصري:

"القلوب أولى أن تتأثر وتتصدع خوفاً لله عند سماع القرآن، كما تتأثر الصخور إذا نزل عليها الوحي."

وقد جاء مثال حي على التأثير:

جذع النخل الذي خطب عليه النبي صلى الله عليه وسلم بكى شوقاً له عليه السلام حتى جاءه واحتضنه.

فقال الحسن البصري معلقاً :

"أنتم أولى بالشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الجذع."

إذا كانت القلوب أقسى من الحجر، فلا بد من إذابتها بالخوف من الله، والورع، والعمل الصالح، لتصبح قلباً حياً يتأثر بالقرآن والحق، ويستجيب للوعظ كما تتأثر الصخور بنزول الوحي.

أساس التعامل مع القرآن الكريم أن تتأثر به:

المبدأ الأساسي هو أن تستمع إلى القرآن بقلب متفاعل، متأملاً أثره في نفسي وتغيّره في سلوكي وروحي. فلا اعتاد تلاوة الآيات دون تدبر أو تطبيق، بل أجعلها تزيدني إيماناً وخشياً وخشوعاً لله. قال تعالى:

{ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } [التوبة: 124]

فليحرص المؤمن أن يكون من النوع الأول، الذين يزيده القرآن إيماناً وخشياً وخشوعاً لله تعالى. فهذا الربط المستمر بالقرآن هو ما يضبط جدول محاسبته وقلبه، ويجعله دائم الذكر، بعيداً عن الغفلة.

القرآن ومعرفة الله :

إن استمرار الإنسان في سماع القرآن دون أن يتأثر يدل على مشكلة أعمق، وهي ضعف معرفته بالله، فمن عرف الله حقاً أحبه، وخافه، واشتاق إليه، ووجد في كلامه لذة تفوق لذة الماء البارد للعطشان.

ومن هنا تتجلى أهمية معرفة الله الذي يخاطبنا بآيات القرآن ويرسل إلينا رسائله الرحيمة.

(الآية 22)

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}
أي لا معبود بحق إلا الله، المستحق وحده للعبادة والطاعة، فكل الآلهة باطلة.
{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} (الحشر: 13)

فلو فقهوا لعلموا قدر الله، ولو عرفوا قدر الله ما قدموا رضا الناس.
المعاصي تنشأ لسببين: إما جهل الإنسان بقدر الله، أو جهله بنفسه. وكلما زاد الإنسان معرفةً بالله ومعرفةً بنفسه، زادت استقامته وصلاحه.

ماغصبي الله إلا بالجهل.

سأل النبي ﷺ رجلاً: كم إلهاً تعبد، فأجاب الرجل: "سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء". فقال صلى الله عليه وسلم بعدها: "فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟"، أي من الذي تلجأ إليه عند حاجتك وخوفك. فأجاب الرجل: "الذي في السماء". فقال ﷺ: "فاعبد الذي في السماء".

الله وحده هو الإله الحق، وكل ما سواه باطل.

{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}

علم الغيب صفة لا تكون إلا لله عز وجل.

{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} (النمل: 65)

الغيب: هو ما غاب عنك،

فمن يعلم الغيب ويحيط بكل شيء، فهو وحده المستحق للعبادة.

{وَالشَّهَادَةِ}

والله يعلم كل أعمال الإنسان ويشاهدها كلها، مما يساعد الإنسان على محاسبة نفسه والمراقبة والاستقامة.

{هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}

شمول الرحمة

الله وصف نفسه بالرحمن الرحيم، وهما صفتان مترابطتان:

الرحمن: على وزن "فعلان" شمول الرحمة لكل الخلق، مؤمنهم وكافرهم، بارهم وفاجرهم، فالله رحم الجميع عافى الكفار، رزقهم، وسهل أمورهم، وعرف الناس بنفسه وأنزل الكتب وأرسل الرسل ويسر لهم الدين والسبيل إليه.

صفة الرحمن أوسع من صفة الرحيم. والرحيم صفة أخص.

الرحيم: صفة تختص بالمؤمنين، فهم مستفيدون من توجيه الله ورضاه وبركته أكثر من غيرهم. قال تعالى:

{وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} (الأحزاب: 43)

الرحمة العامة تشمل جميع الخلق، سواء الكافر أو الفاجر أو المؤمن، فهي تتجلى في الرزق، والحياة، وتيسير الأمور، وإرسال الرسل، والكتب السماوية

من وجوه عناية "الرحيم" بأهل الإيمان:

يعتني الله تعالى بأهل الإيمان اعتناءً خاصاً يتجلى في:

1. الهداية: لا يقتصر فضله على مجرد بيان الطريق، بل يهديهم إلى الصراط المستقيم ويوفقهم للسير عليه، ثم يثبتهم عليه حتى الممات.
2. العناية بالخوانيم: يتولى سبحانه حسناتهم في خواتيم أعمالهم، ويخصهم برحمته يوم القيامة، وهي رحمة مخصوصة لأهل الإيمان، لا ينالها الكافر.
3. المغفرة: يغفر لهم سيئاتهم ويرفع درجاتهم في الجنة.
4. الشفاعة: يخصصهم بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك من تمام رحمته بهم.

فالرحمن اسمٌ يشمل جميع الخلق برحمته، وأما الرحيم فهو خاص بأهل الإيمان.

(الآية 23)

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

{الْمَلِكُ}

هو الله الذي يملك جميع خلقه وله السلطان عليهم، يحكم بما يشاء، وله وحده الاستحقاق في العبادة.

{الْقُدُّوسُ}

هو الله المنزه عن كل نقص وعيب في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المتقدس المطهر من كل نقص.

الله رب معظم ، ويجب أن تخشاه، وتراعي كلامه. وأوامره، فهو من عند القدوس، الذي ليس فيه نقص ولا عيب، لا في كلامه ولا في أحكامه. لذلك، إذا وردت أحكام شرعية، فالتزم وثق بها كلامه صحيح وشرعه كامل، حتى لو لم تفهمه تمامًا. لا تعقب على أحكام الله،

{السَّلَامُ}

فيها عدة أقوال:

القول الأول: إن السلام هو الذي سَلِمَ من كل نقص وعيب، فيكون كالقدوس تمامًا. وقيل: السلام هو الذي سَلِمَ عباده المؤمنين، أي رزقهم السلام، فيدافع عنهم ويحميهم، ويؤمنهم ويؤمن فزعهم عند الموت وفي القبر، ويؤمنهم في الآخرة فلا يفزعون حين يفزع الخلائق، وفي الآخر يدخلهم دار السلام.

وقيل: السلام هو الذي سَلِمَ جميع خلقه من الظلم، فأمنهم أن يظلمهم، فقال تعالى:

{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ}.

(فصلت : 46)

وفي الحديث القدسي

"إني حرمت الظلم على نفسي".

{الْمُؤْمِنُ}

وفيها أقوال:

المؤمن من "الأمن" فيكون معناها الذي يُؤمِّن عباده، يُؤمنهم من الظلم، من المخاوف إذا هم

خافوه وفي الحديث القدسي:

"لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين، إن أمني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن خافني في الدنيا أمنت يوم أجمع عبادي".

فالمؤمن هو الذي يؤمِّن عبده الذي يخاف منه.

دونها ليتعلق قلبك بالمؤمن:

كل اسم من أسماء الله يتحول إلى دعاء، مستخدمًا الاسم المناسب لطلبك. فتقول: "يا مؤمن، آمَنِّي"، لأول مرة تدعو باسم المؤمن: "يا مؤمن، أسألك الأمان في الدنيا والآخرة، وارزقني الخوف منك لأعيش أمان الدنيا والآخرة". فالمؤمنون هم الذين آمنوا يوم الفزع، قال تعالى:

{وَهُمْ مِّنْ فَرَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ} (النمل: 89)

أو المؤمن من "الإيمان".

يعني التصديق كقول إخوة يوسف:

{وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا} (يوسف: 17)

أي لن تُصَدِّقنا ولو كنا صادقين.

وقال المفسرون: المؤمن هو الذي صدَّق رسله في وعودهم، وأثبت صدقهم بالمعجزات، ونصرهم على الأعداء، وقوة حججهم وبراهينهم.

وقيل المؤمن: هو الذي صدَّق عباده المؤمنين فيما وعدهم: نصرهم إذا اتقوه، وانتقم من أعدائهم، وحقق لهم وعده بالجنة.

لذلك يقول أهل الجنة:

{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ} (الزمر: 74)

{المُهَيِّمُ}

للمهيمن معنيان:

المعنى الأول: أي الشهيد، فالمهيمن هو الشهيد الذي يشهد ويراقب، وهذا يعطينا معنى الآية:

{وَلَتَنْظُرَنَّهُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} (الحشر: 18)

المعنى الثاني: المهيمن بمعنى الحاكم على عباده، وهو الذي يحكم ما يشاء،

ولهذا قال الله تعالى عن القرآن:

{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ} (المائدة: 48)

أي شاهد على ما فيه، يميز الصدق من الكذب.

{العَزِيزُ}

العزیز هو الذي لا يُغلب. والأصح أن نقول: العزیز الذي لا يُغالب. فكما نقول عن شخص: "فلان

لا يُقتل"، قد يُؤذى لكنه لا يُقتل، أما إذا قلنا: "فلان لا يُقاتل"، فهذا مستحيل.

{إِنَّهُمْ لَن يَصُورُوا اللَّهَ شَيْئًا} (آل عمران: 176)

وهذه الصفة تُرجعنا إلى محور السورة، المبني على العزة:
{وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
الرُّعْبَ}. (الحشر : 2)
مدار السورة على العزة:

تكرر صفة "العزیز" بداية السورة وآخرها لتطمئن المؤمن بأن الله لا يُغالب ولا يُغلب. فما
يحدث من ظلم أو تغلب على الأرض في فلسطين أو السودان سببه تقصير البشر، لا ضعف قدرة
الله سبحانه وتعالى.
{وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ * إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا
هُم خَامِدُونَ} (يس:28-29)

{الْجَبَّارُ}

وفيه معنىان:

المعنى الأول : من الجبروت، أي الذي قهر الظالمين وينتقم من الظالمين.

المعنى الثاني : الجبار من جبر الكسر، أي الذي يُصلح المكسور ويعطيه القوة، فينزل السكينة على
قلب المكسور، كما في قصة لوط عليه السلام:
{يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ}. (هود : 81)

الجبار اسم يطمئن المظلوم ويهيب بالظالم، ويُستعمل في الدعاء: "يا جبار اجبر كسري وارحم
ضعفي، يا جبار اجبر خاطري وارزقني الصبر".

{الْمُتَكَبِّرُ}

أي المتعاضم

المتكبر: هو الذي يرى نفسه عظيمًا وكل ما سواه حقيرًا، وهذه الصفة لا تليق إلا بالله تعالى، فهي
صفة كمال من صفاته وأسمائه.

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي ،
والعظمة إزارى ، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار "
وفي الحديث الشريف:

لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبَرٍ.
رفض النصيحة كبر، والاستعلاء على الضعيف كبر

{سُبْحَنَ اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

أي هو منزله عن أن يكون له شريك.

(الآية 24)

{هُوَ اللّٰهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

{الْخَلِيقُ}

هو المقدر، أي الذي صمّم الشيء قبل أن يظهر للعلن.

{الْبَارِئُ}

هو الذي أوجد الخلق من العدم على غير مثال سابق.

{الْمُصَوِّرُ}

هو الذي أعطى كل شيء شكله الذي يليق به، التي تناسب حياته

{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ}. (آل عمران: 6)

قاعدة في العقيدة في باب الأسماء والصفات :

{الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ}

إذا اجتمعوا إفترقا في المعنى وإذا إفترقا إجتمعوا في المعنى

إذا جاءت هذه الأسماء مجتمعة، يُفسّر كل اسم على أنه مرحلة مستقلة في الخلق، أما إذا ورد كل

اسم منفردًا، فيشمل معنى المراحل الثلاث مجتمعة.

{لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ}

أي له أسماء وصفات عالية، لا نقص فيها ولا عيب.

لله تسعة وتسعون اسمًا، من أحصاها دخل الجنة.

{يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ}

فكل ما في الكون يسبح له، فالإنسان المكلف أولى بالذكر والتسبيح والعمل الصالح لينجو يوم

القيامة.

{الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

العزیز الذي لا يغالب، فهو الحكيم في كل ما فعل، بطرد بني النضير، وبتقسيم الفيء، بتفضيل

المهاجرين والأنصار على غيرهم، سواء في العدل أو في شرعه أو في نزول القرآن.

نسأل الله أن يجعل القرآن حجة لنا لا علينا، ويزيدنا خشية وتدبرًا وعملاً صالحًا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

أهلاً ومرحباً بكم في اللقاء السابع من هذه الدورة الطيبة المباركة، دورة مدرسة "قد سمع" بفضل الله قد أنهينا مدارس سورة المجادلة في ثلاث حلقات، وكذلك سورة الحشر في ثلاث حلقات. ويأذن الله تعالى ستكون معنا اليوم **سورة الممتحنة**، ونرجو من الله أن نتمكن من إنهاؤها في لقائين.

سورة الممتحنة من السور المهمة، عميقة المعاني، غنية بالمضامين التربوية والاجتماعية والسياسية، والدراسة الدقيقة تكشف حكمتها وفوائدها.

موضوعات السورة الكريمة :

1. التوجيه الأخلاقي والشرعي: كيفية التعامل مع غير المسلمين والمشركين بطريقة عادلة.
2. الحكم والتربويات العملية: دروس مستفادة من مواقف المسلمين مع من حولهم، وما يترتب عليها من آثار اجتماعية وسياسية.
3. العبرة من السيرة النبوية: ربط الأحداث التاريخية بسلوكيات الفرد والجماعة، وتعزيز الفهم الصحيح للدين. كما هو الحال مع سورتا المجادلة والحشر، دراسة الممتحنة تعمق فهم القرآن وتقوي الحفظ والفهم معاً.

معلومات حول سورة الممتحنة :

سورة الممتحنة مدنية بالاتفاق، لأنها نزلت بعد صلح الحديبية والممتحنة هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، التي ورد ذكرها في النصف الثاني من السورة مع غيرها من النساء المهاجرات بعد صلح الحديبية، وقد خضعن لامتحان، وسنتناول التفاصيل في اللقاء القادم بإذن الله.

قال تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ}. لأنها كانت أول امرأة هاجرت، وأول من تم امتحانها

تسميات السورة ومعانيها :

1. "الممتحنة" على حال المهاجرة أم كلثوم؛ لكن هناك اختلاف حول المقصود بالاسم: هل يشير إلى أم كلثوم نفسها أم إلى غيرها من النساء المهاجرات.

القول الأول: أن الممتحنة هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهذا على اعتبار "أل" ألف لام العهد، أي الشيء المعهود.
ومثال ذلك: إذا قلت في حلقة تدبر: "هات لي الكتاب"، فيُفهم أنه كتاب التفسير لأنه المعهود.
فيكون معنى "الممتحنة": أم كلثوم، لأنها أول من سافرت وتم امتحانها.
القول الثاني: أن "أل" هنا ألف لام الجنس، أي أن الممتحنة تعود إلى جنس كل امرأة هاجرت وتعرضت للامتحان.
فهل المقصود امرأة بعينها (أم كلثوم)؟ أم عموم النساء المهاجرات.

2. "الممتحنة" أي: التي امتحنت المهاجرات، أو التي ورد فيها الامتحان، لأنها نقلت تفاصيل هذا الامتحان.

3. سورة الامتحان.

4. سورة المودة، عند بعض السلف.

عناية السورة بالمرأة :

تعيدنا هذه السورة إلى خط تكريم المرأة والعناية بها في جزء "قد سمع".

الذي درسنا منه ثلاث سور، واثنان منهما تتناولان أحوال النساء:

المجادلة: قصة خولة بنت ثعلبة.

الممتحنة: قصة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط.

وهذا يبين اهتمام الله بالمرأة، سواء كانت تشكو أو مهاجرة.

قدوة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط :

الحديث يحمل رسالة قوية وجميلة تحث على الالتزام

فوالدها، عقبة بن أبي معيط، "أشقى القوم" كان من أشد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم،

ووصفه النبي بأنه من أشقى الناس، وكان من الذين وضعوا سلا الجزور على ظهره في مكة.

ورغم كل ذلك، كانت ابنته أول من هاجر بعد صلح الحديبية.

وهذه القصة تُقدّم رسالة لكل فتاة تعيش في ظروف صعبة أو مجتمع لا يشجعها على الالتزام، أو

تتعرض لضغوط من البيئة أو الأهل أو الصحبة، أو تواجه تحديات اجتماعية واقتصادية، لتكون

مثالاً على الثبات والالتزام والإيمان بالرغم من الصعاب.

الممتحنة رسالة: أن من يريد الهداية لن تمنعه الظروف.

وفي نهاية هذا الجزء سنتحدث عن آسية امرأة فرعون كنموذج آخر في سورة التحريم.

من صَدَقَ مع الله هداه الله، ومن أراد الالتزام أعانه الله.
أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ابنة رجل من أشد الناس كفرًا، ورغم ذلك هداها الله.
{وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} (الإسراء: 97)

تقسيم السورة :
يتناول النصف الثاني موضوع النساء المهاجرات والامتحان والقصة :
الكلام على الامتحان عمومًا يبدأ من قوله تعالى:
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ} (المتحنة : 10)

أما النصف الأول يتحدث عن موالاة الكفار:

(الآية 1)
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ
الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ}

سبب النزول

قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه :

هو رجل من اليمن عاش في مكة ولم يكن من أهلها الأصليين تحت تحالف، يقال مع الزبير بن
العوام أو عثمان بن عفان رضي الله عنهم. فلم يكن له في مكة عائلة أو قبيلة قوية، بل كان يعتمد
على تحالفه فقط، ثم هاجر إلى المدينة.

قبل فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، خاف حاطب على أسرته التي بقيت في مكة، وقد كانوا
ضعفاء وغير قادرين على الهجرة، وقلق من رد فعل المشركين على أسرته، لما يصل النبي صلى
الله عليه وسلم لفتح مكة.

لذلك قرر إرسال رسالة إلى أهل مكة، تتضمن تحذيرًا مبهمًا عن حركة المسلمين، دون تحديد
الزمان والمكان، بهدف حماية أسرته دون تعريض المسلمين لخطر مباشر، لكنه وقع في خطأ
التجسس رغم نيته الطيبة.

فأعطى الرسالة لامرأة ذاهبة إلى مكة، فأخفتها في شعرها لتسليمها.

علم النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر عن طريق الوحي، وقد كان يدعو الله أن يُخفى خبر فتح مكة عن أهلها، ليس خوفاً منهم، بل ليحدث الفتح من غير دماء ودون مقاومة.

نص الرسالة :

"إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليكم جيشاً كالليل، يسير إليكم كالسيل، وأقسم لكم: لو سار إليكم وحده لأظفركم الله عليكم."

خطورة موقف حاطب بن أبي بلتعة :

الرسالة التي أرسلها حاطب كانت صيغتها مخيفة وكأنها تدعو أهل مكة للاستسلام، لكنها حقيقةً كانت خطأ كبيراً، لأن مجرد إرسال الخبر يُعد تجسساً على المسلمين.
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أخرجوا فوراً، وائتوني بتلك المرأة"
فذهب علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، والمقداد، وأبا مرثد الغنوي، رضي الله عنهم وأمسكوا المرأة فأخرجت الرسالة، ثم عادوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
فلما واجه النبي حاطب، سأله:
"ما هذا يا حاطب؟"

وكان سؤالاً صعباً؛ لأن هذا الفعل غير متوقع من صحابي شهد بدر مثل حاطب.
فأجاب حاطب قائلاً:

"يا رسول الله، لا تعجل علي. والله إني لمؤمن بالله ورسوله، وما ارتددت ولا بدلتُ، ولكني كنت امراً ملصقاً في قريش، ولي فيهم أهل وعشيرة وولد، وليس لي فيهم قرابة يحمونهم. وكان لمن معك قرابات يحمونهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي."
فعل حاطب فعلته بخوفه على أسرته المستضعفة في مكة، ورغبته في حمايتهم بطريقة خاطئة.

فقال عمر رضي الله عنه:

"دعني يا رسول الله أضرب عنقه؛ فإنه قد خان الله ورسوله، وقد نافق."
فرد النبي عليه الصلاة والسلام: "إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك يا عمر؟ لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم."
فدرفت عين عمر رضي الله عنه وأرضاه وقال: "الله أعلم."

وعفا النبي عليه الصلاة والسلام عن حاطب بسبب أنه شهد بدرًا.

النصف الأول من السورة: نزل على حادثة خطأ حاطب بن أبي بلتعة، وعفا عنه النبي ﷺ لتوبته ومشاركته في بدر.

وهذا يبين أن الموالة التي صدرت من حاطب كانت معصية محرمة. لا كفرًا أكبر مخرجًا من الملة.

استنفار الآيات للمؤمنين :

الله تعالى يحث قلوب المؤمنين على اليقظة والطاعة بعدة طرق:

النداء المباشر :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا}

أو "يا مؤمنين"، أو "يا من آمنتم بالله ورسوله"، مما يثير في قلوبهم الاستعداد للالتزام والتفاعل مع أوامر الله.

ثانيًا، تحذر الآيات من موالة العدو :

{لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ}

ففي هذه الآيات قوة استنفار واضحة: فالعدو عدو لله وعدو لكم ، فلا يجوز أن يكون وليًا لكم، بل يجب أن يظل عدوًا.

{تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ}

التحذير من محبة الكافرين

كيف تكون لهم محبة خالصة وهم كفروا بالله؟

حب الله يتطلب منك بغض من كفر بالله، وإلا فلن تكون من أحبائه.

{يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ}

هؤلاء هم من أخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم من مكة، وأنتم كذلك تأثرتم بسببهم وأيضًا هم كفار لا يمكن موالاتهم أو إرسال أخبار المسلمين لهم أو نصرتهم.

{أَن تُوْمِنُوا بِاللَّهِ}

أجبروكم على الخروج لأنكم آمنتم بالله.

ليس كل موالة للكفار كفرًا؛ فلها أنواع ومعانٍ.

الموالة ومعانيها :

في اللغة، تأتي بمعانٍ مثل: الحب، النصرة، الطاعة، الصداقة، والتشبه.

المعنى الشرعي، معناها: عدم جعل الكفار أولياء لك.

1. عدم محبتهم:

كما في قوله تعالى:

{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} (المجادلة: 22)

يجب على المؤمن أن يبغض الكافر. لا يمكن الجمع بين إيمان بالله وحب من يسب الله، كما قال إبراهيم عليه السلام:

{وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ} (المتحنة : 4)

هل حب الكافر كفر أم حرام :

إذا أحب المؤمن الكافر نفسه، فهذا يُعد نقضًا للإيمان، لأن من أحب الكافر ولم يتبرأ منه فهو مخالف لقول الله:

{فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ}

(البقرة : 256).

أما إذا أحب المؤمن الكافر لشخصه فقط، وليس لحبه للكفر، فهذا حرام لكنه ليس كفرًا.

المؤمن يجب أن يبغض الكافرين وأفعالهم الكفرية، كما فعل إبراهيم عليه السلام.

المعاملة الحسنة لا تتعارض مع البغض :

يمكن للإنسان أن يحسن إلى من يكرهه، كما نفعل في حياتنا اليومية مع من لا نحبههم. الله الذي أمرنا بعدم محبة الكافر هو نفسه الذي أمرنا بالبر والقسط والعدل والإحسان.

يظن البعض أنه يجب اختيار أحد الأمرين:

إما أن يقول "بما أن هناك برًا وعدلاً فلا بد أن أحب الكافر" وهذا خطأ، أو "بما أنني أبغض الكافر فلا بد أن أظلمه أو أؤذيه" وهذا أيضًا خطأ.

فلا نحبه، لكن نحسن إليه بالعدل والبر والقسط وكل ما يتعلق بالمعاملة الطيبة، ما دام يعاملنا معاملة حسنة. كما جاء في قوله تعالى:

{لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ}

(المتحنة: 8)

2. النصر وأنواعها:

الموالة التي تؤدي إلى الكفر الأكبر:

القتال المباشر:

كأن ينصر المسلم الكفار ضد المسلمين في معركة دينية، أي يرفع راية الكفر ضد راية الإسلام. في هذه الحالة يكون قد ارتد عن الدين.

مثال من غزوة بدر :

كان في قريش رجال يبطنون الإسلام، مثل العباس رضي الله عنه، الذي لم يهاجر وبقي في مكة. فلما وقعت غزوة بدر، خرج مع الكفار ليُرضيهم فقط، فأُسِر في المعركة. عامله النبي ﷺ معاملة الكفار، ومن مات ممن يظهر الإسلام يوم بدر دُفن مع المشركين، لا في مقابر المسلمين.

حكم من يقاتل مع الكفار اليوم : مرتد خارج عن الإسلام.

كما اعتُبر خروج المسلم مع صفّ المشركين يوم بدر ارتدادًا عن الدين.

الواقع المعاصر :

مسلم يقاتل مع الجيش الأمريكي ضد المسلمين في العراق أو أفغانستان ردة.

مسلم يقاتل في جيش إسرائيل ضد الفلسطينيين ردة.

مسلم يقاتل في الجيش الروسي ضد المسلمين في الشيشان ردة.

وفيهم نزل قول الله تعالى:

{فِيمَ كُنْتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۗ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوُهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء 97]

الفرق بين فعل حاطب وغيره :

ما فعله حاطب رضي الله عنه أقلّ خطورة؛ فهو لم يقاتل مع المشركين، بل أرسل لهم رسالة فقط.

المساعدة دون القتال المباشر:

كالتجسس أو نقل الأخبار أو تقديم خدمة عن بُعد، يعد حرامًا لكنه ليس كفرًا أكبر.

3. الطاعة:

الموالة تشمل الطاعة أيضًا، وأثرها يختلف بحسب نوع الطاعة:

من أطاع الكافر في الكفر:

فهو كافر؛ مثل من أمره الكفار بكتابة مقالة ضد الإسلام فهو كافر أكبر.

ومن أطاعه في المعصية:

فهو عاصٍ ليس بكافر، كمن أمره الكفار بنشر الفسق والفجور أو مواد مخلة بالآداب معصية فقط، وليست كفرًا.

4. اتخاذ الكافر صديقًا مقربًا:

من صور الموالاة أيضًا اتخاذ الكفار أصدقاء ومقربين، وقد نهانا الله تعالى عن ذلك.:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَىٰ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَةَ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } (آل عمران: 118)

يمكن أن يكون الكافر زميلًا في العمل أو جارًا أو أن تكون هناك علاقة طيبة، لكن لا يجوز أن يكون صديقًا مقربًا.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامُكَ إِلَّا تَقِيًّا."

5. التشبه بالكافرين :

لا يجوز التشبه بالكافرين في خصائصهم الخاصة.

الأمر المشترك بين المسلمين والكافرين ليست تشبهًا لأنها ليست خاصة بهم.

أمثلة على التشبه الممنوع:

الأكل باليد اليسرى، أو تقليد أسلوب حياتهم المخالف للشرعية. حتى في المواقف اليومية، مثل

دخول مطعم ووجود الشوكة على اليسار، يجب استخدام اليد اليمنى كما يفعل المسلمون.

التشبه بالكافرين محرم إذا كان في أمور خاصة بهم مخالفة للشرعية، أما الأمور المشتركة فلا

تعتبر تشبهًا

ليس لازمًا أن نلبس مثلهم؛ لأن لدينا أحكام العورات والستر، وهم لا يبالون بذلك.

صور ليست من الموالاة إطلاقًا:

هناك صور من المعاملة مع الكفار لا تُعدّ موالاة أصلاً، والدليل على ذلك ما فعله النبي ﷺ بنفسه.

البيع والشراء:

النبي ﷺ كان يبيع ويشترى مع اليهود، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي.

وكانت هناك تجارة بين المسلمين والروم.

العمل:

أن يعمل الكافر عند المسلم، أو المسلم عند الكافر؛ هذا ليس من الموالاة. النبي صلى الله عليه وسلم استأجر رجلاً كافراً في الهجرة ليدله على الطريق. وسيدنا خباب كان حدّاداً عند العاص بن وائل.

الهدية:

النبي ﷺ أهدى للمشرّكين، وقبِلَ منهم الهدايا؛ واليهودية أهدت له شاة مسمومة. عيادة المريض الكافر النبي صلى الله عليه وسلم زار غلاماً يهودياً فأسلم. وزار عمه أبا طالب ودعاه إلى الإسلام.

الإحسان بأنواعه:

إطعام، سقي، كسوة، مساعدة، قضاء دين — كل ذلك ليس موالاة. الزواج من الكتابية الحرة العفيفة: الله أحلّ الزواج بالكتابية، فعلم أن ذلك ليس من الموالاة المحرمة. وقد فهمنا معنى الولاء هنا.

الاستنفار الإلهي للمؤمنين:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا}

{عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ}

{وَقَدْ كَفَرُوا}

{يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ}

لا توالونهم وقد تسببوا في إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم وإخراجكم. فكانوا سبباً في اضطراب النبي ﷺ للخروج، إذ أرادوا قتله.

كما قال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم:

"ليتني فيها جذعاً إذ يُخرجك قومك." قال: "أومخرجي هم؟" قال: "ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي."

{أَنْ تُوْمِنُوا بِاللّٰهِ رَبِّكُمْ}

أي: كل ما حدث إنما حدث لأنكم مؤمنون.

فكيف يا مؤمن، بعد كل هذا، توالي الكافر؟

وكذلك اليوم: كيف نوالي الكفار بعد كل ما فعلوه في فلسطين، غزة، السودان، العراق، وسوريا؟ رغم ذلك هناك من يعظمهم أو ينصرهم، أو يتمنى سيادتهم على بلاد المسلمين. متى نفيق من هذه الغفلة؟

{ إِن كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي }
عتاب الله؛ إذا كنتم خرجتم للجهاد أو للهجرة في سبيل الله، فالنية لابد أن تكون خالصة لله وابتغاء مرضاته.

التناقض لا يجوز: لا يمكن للإنسان أن يخلص نيته لله ويوالي عدوه في نفس الوقت. الولاء والبراء مرتبطان بنقاء النية.

{ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ }
يظهر من أفعالكم محبتكم لهم على نحو مخالف لإخلاص النية لله.

{ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ }
قاعدة عامة: الله يعلم ما تخفي وما تعلن، فلا يمكن لأحد أن يخفي شيئاً عن الله.

{ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ }
من فعل ذلك فقد ضل.

(الآية 2)

{ إِن يَتَقَفَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ }
"يتقفوكم": أي إذا تمكنوا منكم أو أدركوكم، يظهرون عدائهم بعد أن أخفوه.

{ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ }
أَيْدِيَهُمْ: كناية عن إيذاء جسدي،

وَأَلْسِنَتُهُمْ: أي إيذاءكم بالكلام أو سبكم أو إعلان الكفر أمامكم.

لا يغركم لسان الكفار المعسول في بداية التعامل، لأن ما إن يتمكنوا، تظهر أفعالهم البشعة: القتل، السجن، الإيذاء، والسب.

أمثلة: ما حدث في العراق، فلسطين، أفغانستان، وغيرها.

{وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ}

أي لن يرضوا عنكم إلا إذا كفرتم.

(الآية 3)

{لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}

مناسبة الآية لموقف حاطب لأنه فعل ما فعله حماية لأهله وأولاده.

النفع الحقيقي لا يكون إلا بالله فهو مسبب الأسباب.

حتى شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم تكون بإذن الله، فلا يعتمد أحد إلا على الله وحده.

القلوب يجب أن تتعلق بالله وحده.

{يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}

الجميع محاسبون، ولا شفاعته أو قربى تنفع إلا بإذن الله.

لن تنفعكم ذرياتكم في الدنيا ولن تنفعكم يوم القيامة إلا بإذن الله تعالى.

القربى والصالح قد ينفعان فقط بإذن الله، والقوة الحقيقية للإيمان لا تأتي إلا من الله.

(الآية 4)

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}

كان من المناسب ذكرهم في الآيات وهم القدوة في الولاء والبراء.

{وَالَّذِينَ مَعَهُ}

هناك أقوال متعددة:

1. الذين آمنوا به هم لوط وسارة زوجة إبراهيم.
2. جميع الأنبياء الذين ساروا معه على منهج إبراهيم.
3. كل من اتبع نهج إبراهيم عمومًا سواء الأنبياء أو الأمة وهو يشمل القولين الأول والثاني. إذن، نحن المسلمون معهم على التوحيد الخالص.

{إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}

البراء: عكس الولاء؛ ومعناه بغض الكافرين، وعدم تأثيرهم على المؤمنين، وعدم التشبه بهم، وعدم طاعتهم في الكفر أو المعصية.
البراء أن يكره الكافر، ويكره ما يعبد من كفر، ولا يمكن للإنسان أن يحب الكافر من حيث كفره، مع بقائه ملتزمًا بالبراء منه.

{كَفَرْنَا بِكُمْ}

رفضنا الطاغوت وعدم الإيمان به أو طاعته، وعدم محبته، وهو جزء من البراء.

{وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}

يبقى العداء والبغضاء مستمرين حتى يؤمن هؤلاء بالله وحده.

خلاصة الولاء والبراء :

الولاء: يقتصر على المؤمنين والتابعين لهدي الله.
البراء: رفض الكافرين وطاغوتهم، وعدم محبتهم أو التأثير بهم.

خطر اعتقاد أن كل الأديان تؤدي إلى الله:

من يقول: "أنا مؤمن بالله وبالإسلام، لكنني أعتقد أن النصرانية واليهودية والبوذية كلها صحيحة، وكلها تقود إلى الله."

فمن يقول ذلك لا يصح إيمانه، وهو كافر.

لأن الإسلام دين توحيد يقوم على الإيمان بالله وحده، وعدم الرضا إلا بالله ربًا، ورفض عبادة أي شيء سواه، وأن الحق لا يتعدّد في أصل العقيدة.

نقول: من لم يكفر بالطاغوت لا يصحّ إيمانه؛ فلا يكون مؤمنًا حتى يحقق الشرط الذي ذكره الله تعالى:

{فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ}

(البقرة: 256)

ولهذا فشهادة لا إله إلا الله تتكون من شطرين:

1. لا إله: أي الكفر بكل ما يُعبد من دون الله، ورفض الشرك وعدم الرضا به.
2. إلا الله: أي إثبات أن العبادة لا يستحقها إلا الله سبحانه وتعالى وحده

خطورة مشروع "الديانة الإبراهيمية" :

انتشرت في السنوات الأخيرة دعوة متصاعدة من شخصيات عالمية – مثل ترامب وغيره – للترويج لما يسمّى: "الدين الإبراهيمي" أو "المسار الإبراهيمي" أو "الديانة الإبراهيمية". واكتسبت هذه الدعوة حضورًا واسعًا في الإعلام والمؤتمرات، مع ضغط دولي متزايد لتنفيذ هذا المشروع.

بدء تنفيذ الفكرة على أرض الواقع فهناك خطوات وإجراءات عملية بدأت بالفعل لتطبيق هذه الفكرة بشكل واقعي.

فكرة إيجاد قواسم مشتركة بين الأديان

تقوم الفكرة الأساسية على محاولة جمع نقاط الاتفاق بين الإسلام واليهودية والنصرانية، مثل الأخلاق، والمعاملة، والقيم العامة.

صعوبة دمج العقائد بين الإسلام واليهودية والمسيحية :

عند محاولة جمع الأديان الثلاثة في منظومة واحدة تظهر عقبات كبرى إذ إن كل ديانة تقوم على أصول لا يقبل الآخر بها:

1. الإسلام:

المسلمون يؤمنون بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه عقيدة غير مشتركة مع اليهود والنصارى وبالتالي، لتكوين دين واحد يجب التنازل عنها.

2. المسيحية:

المسيحيون يؤمنون بسيدنا عيسى عليه السلام إيمانًا مركزيًا، بينما اليهود لا يعترفون به. إذاً يجب التنازل عن هذا أيضًا.

بعد حذف العقائد غير المشتركة بين الإسلام واليهودية والمسيحية، لا يبقى إلا الإيمان بسيدنا موسى عليه السلام باعتباره القاسم الأدنى بينهم وتقريبًا للفكر.

وبذلك يصبح الدين المقترح أقرب للرؤية اليهودية أو متأثرًا بها.

يُختزل هذا "الدين الجديد" في الأخلاق والقيم والمعاملات دون أي عقيدة، ويُطرح تحت شعار المسار الإبراهيمي لتوحيد الصفوف. وفي الوقت نفسه تبقى بقية الأديان متمسكة بعقائدها، بينما يُطالب المسلمون وحدهم بالتنازل عن خصوصيتهم العقدية، تحت شعارات جذابة؛ الإخاء، التعايش، إنهاء الصراعات الدينية

ويُبرَّر ذلك بالقول إن جميع الأديان ترجع إلى إبراهيم عليه السلام، وبالتالي يمكن دمجها في "دين واحد" * يقوم على هذا الأصل المشترك.

مفهوم "بيت العائلة الإبراهيمية":

مشروع يضم مسجدًا وكنيسة ومعبدًا يهوديًا في مكان واحد لتعزيز الحوار بين الأديان، التعايش، ويأتي ضمن مبادرات عالمية للتسامح وتوحيد الثقافات. ويُخاطب المسلمون بعبارات مثل: "الأديان سبب الخلاف، فلنتفق على إبراهيم وننشئ دينًا واحدًا".

الهدف الحقيقي من مشروع الديانة الإبراهيمية :

1. إضعاف عقيدة المسلمين حتى يتم تفريغ الإسلام من مضمونه.
2. تمكين اليهود سياسيًا ودينيًا في المنطقة.
3. استخدام مؤتمرات وشعارات براقة لإخفاء الأهداف الحقيقية.

الخطة المتوقعة:

فرض الديانة الإبراهيمية على الأجيال القادمة:

1. جمع المسلمين في دين مُفرَّغ هو "الدين الإبراهيمي"
2. فرضه عبر:

المناهج الدراسية، المؤتمرات،

الإعلام، الخطاب الرسمي

3. الضغط على الحكومات لاعتماده رسميًا.

وقد يمتد المشروع لخمسين سنة أو أكثر حتى يظهر أثره على الأجيال الجديدة.

بعد تثبيت الدين الموحد، تأتي فكرة مشروع "الولايات الإبراهيمية":

"الولايات الإبراهيمية" على غرار "الولايات المتحدة"، بحيث تُضمّ جميع الدول التابعة للديانة الإبراهيمية في كيان واحد.

سيُقاد هذا الكيان من قِبَل الطرف الأقوى في المنطقة، ويُرَوَّج له بأنه خطوة ممهدة لتحقيق مشروع "من النيل إلى الفرات"، ولكن عبر الإقناع والتدرّج لا بالقوة المباشرة.

بطلان دعواهم والحقيقة من منظور الإسلام :

{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

(آل عمران: 67)

وفي حديث النبي صلى الله عليه:

"والذي نفس محمد بيده لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني."

و لأن إبراهيم عليه السلام من الأنبياء الموحدين، فلو كان حيًا لاتبع دين الإسلام لأن عموم الشرع يلزم الأنبياء بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم لو أدركوه.

ثم ان سيدنا إبراهيم صلى بصلاة النبي عليه الصلاة والسلام في بيت المقدس في رحلة الإسراء والمعراج، والله اخذ عهدًا من الأنبياء على اتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى:

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} (آل عمران: 81)

الشهادة والإيمان بالله ورسوله "لا إله إلا الله محمد رسول الله" هذا هو الدين الذي ارتضاه الله لإبراهيم، وهو أساس التوحيد لكل الأنبياء

وبذلك يتبين بطلان ما يسمى بالديانة الإبراهيمية بصورتها الحديثة.
قال تعالى:

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (النحل: 120)

{وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ}

المراد أن المؤمن عبد لله، وقلبه ضبط على مشيئة الله، فهو يحب ما يرضي الله ويكره ما نهى عنه، كما قال الله:

{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ} (القصص: 68)

محبة النبي صلى الله عليه وسلم فوق كل شيء:

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالديه والناس أجمعين". قال عمر: "يا رسول الله، أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي". فقال عليه الصلاة والسلام: "لا، يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك".

وهكذا يصبح ضبط بوصلة القلب على محبة ما يرضي الله أمرًا طبيعيًا.

الولاء والبراء: محبة المؤمنين وبغض الكافرين :
المؤمن يحب ويكره وفق ما أمر الله، فلا خيار له إلا اتباع مشيئة الله. وعندما يؤمن الكافر بالله،
يتحول البغض إلى محبة دينية لأنه صار مؤمناً.

{ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ }

استثناء استغفار إبراهيم لأبيه :

تفسيران لكلمة "إلا":

1. استثناء متصل: أي أن المستثنى (ما بعد "إلا") جزء من المستثنى منه، فإبراهيم كان أسوة في كل شيء إلا في استغفاره لأبيه. والآية استثناء خاص لأن إبراهيم وعد أباه بالاستغفار، وكان يرجو أن يؤمن، وتوقف بعد وفاته على الكفر، فلا يُحتذى به للمشركون. لايجوز الاستغفار لمن مات على الشرك.

2. استثناء منفصل: أي أن "إلا" بمعنى "لكن"، والكلام بعد "إلا" مستقل لاعلاقه له بما قبله، ويبين موقف إبراهيم في وعده لأبيه، لكنه ملتزم بعدم الاستغفار للمشركون بعد وفاتهم. إبراهيم عليه السلام لم يستغفر لأبيه بعد أن علم أنه مات على الكفر.

{ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }

المؤمن يبرأ من الكافرين ويتوكل على الله في كل أموره، فلا يخاف من فقدان الرزق أو الحماية، لأن الله هو القادر على تدبير الشؤون، حتى في غياب موالاة الكافرين، رغم محاولات الشيطان إقناعه بعكس ذلك.

المؤمن يستقيم ويثابر على الطاعة مع الثقة بأن الله سيكفيه.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا }

(التوبة: 28)

فلما منع المشركين من دخول المسجد الحرام أثار تساؤلات وقلق الصحابة حول مصالحهم من التجارة والرزق وسهولة المعيشة، لكن الله تعالى طمأن المسلمين بأن رزقهم في يده ولن ينقصهم شيء:

{ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }

(التوبة: 28)

عَيْلَة: رزق

الرزق بيد الله، ومهما منع الكفار من دخول مكة، سيظل الله يكفي عباده المؤمنين ويبارك لهم في رزقهم.

توكل على الله فهو حسبك
في الاستقامة والهداية وجميع أمرك.

(الآية 5)

{ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }

معنى "فتنة": وفيه خلاف تنوع

الفتنة إذا جاءت فاعل : أي لا تجعلنا سبباً في إضلال الكفار أو صدّهم عن الإسلام.
المسلم قد يكون سبباً في بُعد الناس عن دين الله دون أن يشعر.

1- عندما يتسلط الكفار على المسلمين

أي حين يُهزم المسلمون أو يُذلّون، فيظن الكافر:

أن هذا دليل على صحة دينهم وبطلان الإسلام ، وأنه الله لو كان مع المسلمين لنصرهم
فالهزيمة هنا تصبح فتنة لهم،

لكن سبب الهزيمة الحقيقي هو معاصي المسلمين لا صحة دين الكفار.

قال عمر: "كنا أذل قوم حتى أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غير دين الله أذلّنا الله."

فالمسلم حين يعصي الله يصبح سبباً في تقوية حجّة الكافر، فيفتتن ويظن أنه على حق.

2- الفتنة بسبب سوء أخلاق بعض المسلمين ومن صور ذلك:

المسلم الذي يشرب الخمر ويزني ويسرق في بلاد الغرب

المسلم الذي لا يلتزم بعمله، يغشّ، يخدع، يكذب

المسلم الذي يسيء لأهله أو جيرانه أو يتعامل بفوضى وتخلف فيظن الكافر أن الإسلام سبب
تخلف المسلمين

3- الفتنة بسبب الجماعات المنحرفة:

كالجماعات التكفيرية التي تقتل المسلمين وتشوّه صورة الإسلام

الأعمال الإرهابية التي تُصدّر الإسلام على أنه دين عنف

أو بدع الشيعة من اللطم والضرب وإيذاء النفس فيظن غير المسلم أن هذا هو الإسلام

وهذا الواقع يستغله الإعلام الغربي، فيعرض أسوأ صور المسلمين. فبذلك يكون أهل الانحراف والبدع، بل وحتى المسلم ضعيف الأخلاق، سبباً في فتنة الكفار عن دين الله.

4- بل قد يصبح المسلم فتنة للمسلمين أنفسهم مثل:

المنتقبة أو الملتحي الذي يعامل الناس بسوء.

من يتظاهر بالصلاح، لكن يكذب ويحلف زوراً.

من يغش في البيع والشراء

ولهذا قال الله:

{ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ }
{ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (النحل: 94)

أي: لا تجعلوا الحلف الكاذب سبباً في أن تزل قدم غيركم فتعرضوه للفتنة.

إظهار الإسلام بصورة خاطئة هو صد عن سبيل الله.

الفتنة إذا جاءت مفعول:

أي: لا تجعلنا يا رب واقعين تحت فتنتهم، ولا تجعلنا نتأثر بما عندهم من شهوات وشبهات.

الافتتان بثقافتهم

إعجاب المسلم بأخلاقهم الظاهرة أو حضارتهم وينسى قيم دينه.

1- الافتتان بشهواتهم

مثل انتشار الخمر، التبرج، الاختلاط المحرم، العلاقات غير الشرعية... إلخ.

2- الضغط على المسلم وأبنائه في المدارس الأجنبية

فيكبر الطفل وهو يتأثر بعقائد غير المسلمين وقيمهم.

3- ضغط العمل على ترك الصلاة أو التهاون بالدين.

4- إعلامهم الذي يروج للانحرافات بأنواعها.

فالزم الدعاء بقوله تعالى:

{ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا }

{ وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }

الغفران مأخوذ من المغفر، وهو ما يُلبس على الرأس في الحرب، وهو يحقق غرضين: الستر،

والحماية.

أي: استر ذنوبنا واحمنا من آثارها ومن عقوباتها.

رَبَّنَا لَا تُسَلِّطِ الْكَافِرِينَ عَلَيْنَا فَيُفْتِنُونَا بِنَا، وَلَا تَجْعَلْنَا سَبَبًا لَصُدُّهِمْ أَوْ صَدِّ غَيْرِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ
بذُنُوبِنَا وَلَا بِأَخْلَاقِنَا وَلَا بِانْحِرَافَاتِ أَهْلِ الْبِدْعِ، وَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَاسْتُرْنَا وَاحِمِنَا مِنْ آثَارِهَا،

{إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.}

لماذا لم يقل: الغفور الرحيم مع أن الكلام عن المغفرة؟

لأن السياق يتحدث عن الولاء والبراء، وعن قوة المؤمن وثباته أمام الكافرين.

وفي هذا الموطن يحتاج المؤمن إلى تذكّر اسمي العزيز الحكيم:

العزيز: ليطمئن أن طاعة الله وترك موالاته الكافرين هي القوة الحقيقية، وأن الغلبة بيد الله وحده.

الحكيم: ليعلم أن كل ما أمر الله به ومنها التبرؤ من الكفار صادر عن حكمة تامة ورحمة بالعباد.

لتثبيت قلوب المؤمنين، وتقويتهم على مخالفة الكافرين وعدم موالاتهم.

(الآية 6)

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ

الْحَمِيدُ}

الاستقامة والطاعة لنفسك: الصلاة، الصيام، الجهاد، كلها لمنفعتك

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ {

(فاطر 15-16)

{الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}

الحميد لأن غناه لا يطغيه، وأفعاله محمودة، على عكس الغنى البشري الذي قد يطغى صاحبه.

(الآية 7)

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ {

لا تفقد الأمل في هداية الكفار.

الله قادر على قلب القلوب وهداية من يشاء.

أغلب الكفار في مكة أسلموا، بعضهم بعد صلح الحديبية، وبعضهم بعد فتح مكة.

لا تغلق جميع الأبواب أمام من تكره

{وَاللَّهُ قَدِيرٌ}

قادر أن يقلب القلوب، يغير مجرى الأمور، ويبدل الحال من الكفر إلى الإيمان.
أمثلة: أسلم أبو سفيان، خالد بن الوليد، عمرو بن العاص، عكرمة بن أبي جهل بعد فتح مكة.

{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

من المناسب استخدام الغفور الرحيم لتشجيع الكفار على الإسلام، فالله يغفر الذنوب لمن أسلم.
الغفور: يغفر الذنوب السابقة.

الحمد لله، ونسأل الله ألا يجعلنا فتنة للكفار، ويغفر لنا ذنوبنا ويسترننا، ويبدل أحوالنا إلى ما يحب ويرضى.

نسأل الله أن يسهل علينا الفهم ويزيدنا هداية واستقامة.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد، مرحباً بكم في اللقاء الثامن من دورة مدرسة "قد سمع". أنهينا بحمد الله سورتى المجادلة والحشر، ونحن الآن نتابع دراسة سورة الممتحنة وبفضل الله أنهينا الجزء الأول من السورة الذي تناول معاني الولاء والبراء وقصة سيدنا إبراهيم وما يسمى بالديانة الإبراهيمية. واليوم نكمل الجزء الثاني، وهو الأصعب لما فيه من أحكام دقيقة. نرجو التركيز ونسأل الله التوفيق لتبسيط المعاني وإتمام السورة بإذن الله. وقبل الانتقال إلى المشهد الأخير، نقرأ قول الله تعالى

(الآية 7)

{ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }
هذه الآية تفتح باب الأمل لكل إنسان، فهي تربط القلب بالله القادر على تغيير القلوب وهداية من يشاء.

أستعن باسم الله القدير على هدايتي وهداية أهلي ومن أدعوه، فمهما ابتعد الإنسان فالله قادر على أن يردّه.

فقد اهتدى أبو سفيان، وصفوان بن أمية، وعكرمة، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص لله غيرهم قادر على أن يغيرني ويغير غيري.

(الآية 8)

{ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }

الآية تتحدث عن الكفار غير المحاربين الذين لا يظهرون عداءً أو اعتداءً، مثل: الذمى المستأمن والمُعاهد.

لا ينهانا الله عن الإحسان إليهم.

البر: هو فعل الخير وبذل المعروف

القسط: هو العدل في المعاملات كالبيع، والقضاء، والتحاكم.

جواز الإحسان والعدل مع غير المحاربين، وعدم جواز موالاة الكافر لأنها محرمة أصلاً للمحارب أو غير محارب، قال تعالى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } (الممتحنة: 13)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ } (المتحنة: 1)

معنى الموالة :

الموالة هي المحبة، النصرة على المسلمين، خاصة في حرب دينية. هي التشبه بالكفار، أو اتخاذهم بطانة مقربين، أو طاعتهم في معصية الله، فضلاً عن طاعتهم في الكفر، قال تعالى: { وَلَا تَطِغْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا } (الإنسان: 24)

أمثلة على البر بالكفار

الإحسان، الإطعام، قبول الهدايا، الزيارة، البيع والشراء، والزواج المشروع من أهل الكتاب بشرط أن تكون حرة عفيفة. وكذلك الزيارة أو تبادل الهدايا.

سبب نزول الآية :

نزلت هذه الآية بسبب حادثة تتعلق بأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما. فأما قتيبة بنت عبد العزى كانت مطلقة قبل الإسلام، ولم تُسلم حتى بعد الهجرة. وبما أن أبا بكر تزوج أكثر من زوجة، فإن أسماء تكون أخت السيدة عائشة من الأب فقط، بينما هي أخت عبد الله بن أبي بكر من الأب والأم معاً. جاءت قتيبة إلى المدينة لزيارة ابنتها أسماء، جالبة لها الهدايا. وبسبب شدة حرص أسماء على الالتزام بالبراء من المشركين، ذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله: "يا رسول الله، إن أُمِّي قد قدمت راغبة." أي: ترغب في زيارتي، وفي إعطائي هدية، وليس المقصود راغبة في الإسلام، فهي لم تُسلم بعد. ثم سألت: "أفأصلها؟" أي: هل أصلها بالزيارة وأقبل هديتها؟ فحكم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "اقبلي منها الهدية، وصليها، وأحسني إليها."

فالآية تؤكد أن الإحسان للكافر غير المحارب جائز، وهذا يشمل الهدايا، الإطعام، والعدل في المعاملة، كما قال تعالى:

{ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا } (الإنسان: 8)

والأسير لا يكون إلا كافرًا، مما يدل على جواز الإحسان إليه.

تحريم تهنئة الكافر بأعياده الدينية

استدل البعض بالآية الكريمة على جواز تهنئة الكفار بأعيادهم الدينية، وهذا خطأ.

الصحيح — والله أعلم — كما ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه أحكام أهل الذمة، باتفاق جميع العلماء على عدم جواز تهنئة الكافر بأعياده الدينية.

ذلك لأنها ترتبط بمعتقدات شركية يعتبرها المسلم كُفْرًا، مثل الاحتفال بميلاد المسيح أو قيامته من الموت، أو أي أعياد مبنية على عقائد شركية. فهذه الأعياد لا تليق بجلاله سبحانه تعالى.

قال تعالى: { وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ }

(الفرقان: 72)

قال الصحابة في تفسير هذه الآية: لا يشهدون أعياد الكافرين وشركياتهم.

موقف المسلم يوم عيد الكافر : لا يؤذيه، ولا يهنئه، ويمرّ اليوم بأي يوم عادي.

قال ابن القيم :

إن تهنئة الكفار بأعيادهم من أشدّ المحرمات عند الله تعالى، بل أشد من فعل الكبائر.

وعلى المسلم التبرأ من العقائد الباطلة، كما قال تعالى:

{ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ }

(الممتحنة: 4)

عدم التهنية بالأعياد الدينية لا علاقة له بحسن المعاملة اليومية.

يجوز تهنئة الكفار بالمناسبات الدنيوية

إذا كان للكافر مناسبة غير دينية: رُزق بولد، تزوّج، ترقّى في عمله، اشترى سيارة، فيجوز تهنئته.

لأنها أمور مشروعة في جميع الشرائع، وتدخل فعليًا في البرّ والقسط.

أثر تهنئة الكافر على الدعوة

التهنئة بأعياد الكفار تُعدّ سببًا لصدهم عن سبيل الله؛ لأنها توحى لهم بأن معتقداتهم صحيحة،

وأن المسلم يقرّها، مما يضعف أثر الدعوة ويجعل إقناعهم بفساد هذه العقائد أصعب.

وقد يقول الكافر:

"إذا كنت قد هتأتني بعيد ديني، فكيف تزعم بعد ذلك أنه باطل؟"

ولذلك كان من مصلحة الدعوة ترك التهنية؛ لأنها تُثير في ذهنه سؤالًا:

"لماذا لا يهنئني المسلم؟"

والجواب يكون: "لأنه يرى هذا العيد مبنياً على عقائد محرّمة وباطلة."

وقد يكون هذا الباب مدخلاً لتفكيره، ومن ثمّ هدايته بإذن الله.

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}

المقسطين: العادلين الذين ينصفون الناس ويعطونهم حقهم سواء بين المسلمين أنفسهم أو مع غيرهم من الكفار.

العدل قد يزعج الناس أحياناً، لكن الآية تؤكد وجوب تقديمه، والله هو من يعوّضك عن غضب الناس فيحبك.

مما يدل على عظم الإسلام وسماحته في تطبيق العدل.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"إن المقسطين عند الله على منابر من نور يوم القيامة على يمين الرحمن عز وجل."

العدل مع المخالفين والعلماء والدعاة

إذا كان العدل مع الكافر مطلوباً، فالأولى أن يكون مع المبتدع أو الضال أو العاصي، ويجب إنصاف المخالف إذا أصاب،

حتى وإن اختلفنا معه في العقيدة أو المنهج.

قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الشيطان: "صدقك وهو كذوب"

العدل مع العلماء والدعاة وطلبة العلم :

ويشمل العدل من يخالفك في الرأي أو الاجتهاد، فيجب الإعراف بالحق عند الخصم، وعدم المبالغة في أخطائه أو تجاهل فضله.

في زمن كثرت فيه الخصومات والشتائم على وسائل التواصل، يظل العدل والإنصاف فئة قليلة جداً، وهو ما يميّز المقسطين حقاً.

(الآية 9)

{ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }

ظاهروا: أعانوا غيرهم على إخراجكم، فلا تولوهم أبداً.

(الآية 10)

{ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهْجَرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ إِنَّهُنَّ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۚ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۚ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُم أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ ۚ وَسَلُّوا مَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنْفَقُوا ۚ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }

هذا الجزء من السورة نزل بعد صلح الحديبية ومرتبطة به تاريخيًا.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ }

تكریم المرأة في جزء "قد سمع"

فكم مرة كُرمّت المرأة في هذا الجزء.

الآية الكاملة نزلت في المهاجرات.

والسورة نفسها نزلت بسبب امرأة: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وقد كان من أشد الناس

إيذاء للنبي، فأسلمت ابنته وفرت بدينها، فكرمها الله بنزول حكم خاص بسببها.

أهمية معرفة السيرة لفهم سياق الآيات، وتسهيل إدراك الكثير من القرآن.

صلح الحديبية

في السنة السادسة من الهجرة، أراد النبي صلى الله عليه وسلم أداء العمرة مع الصحابة. وكان

المعتاد في جزيرة العرب ألا يُمنع أحد من أدائها، فظن النبي أن قريش لن تمنعه، لكنها تعنتت

عند الحديبية، على أطراف الحرم.

مفاوضات صلح الحديبية

النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد القتال، أرسلت قريش العديد من المفاوضين، آخرهم سهيل بن

عمر، الذي تم على يديه الصلح وأسلم لاحقًا.

وتم الاتفاق على الشروط التالية:

1. تأجيل أداء العمرة هذه السنة، والسماح بها في السنة التالية.

2. وقف الحرب عشر سنوات بين المسلمين وقريش، مما أتاح وقتًا للدعوة والتخطيط وفتح خيبر

لاحقًا.

3. إرجاع من أسلم وهاجر إلى المدينة من قريش دون إذن وليه، بينما لا ترد قريش أحدًا من

المسلمين رجع إلى مكة.

رغم أن بعض الشروط بدت صعبة، تمت الموافقة عليها حفاظًا على مصلحة أكبر، فقد وفرت

الهدنة السلام وأمنت الطريق لإنجاز مصالح عظيمة للمسلمين.

موازنة النبي صلى الله عليه وسلم بين مفسدة محدودة ومنفعة كبرى.

هجرة أم كلثوم

بعد صلح الحديبية، هاجرت أم كلثوم إلى المدينة، وقد كان أبوها عقبة بن معيط قد قتل في بدر.

أما أخوها عمارة، وأخوها الوليد، أرادوا إعادة أم كلثوم إلى مكة فذهبوا للنبي صلى الله عليه وسلم

لإرجاعها، حسب شروط الصلح

فنزلت آيات لتوضيح حكم الهجرة بالنسبة للنساء، وأن شروط صلح الحديبية كانت متعلقة بالرجال فقط، لا تشمل النساء.

كان في صياغة الصلح، بما ورد: "على ألا يأتيك منا رجل إلا رددته إلينا." إذن، الشرط لا يشمل النساء، ومن هنا رفض النبي صلى الله عليه وسلم إعادة أم كلثوم إلى مكة، لأنها هاجرت مؤمنة، وكانت حرة في اختيار مصيرها.

بعض الروايات تقول أن النص في صلح الحديبية كان: "على ألا يأتيك منا أحد إلا رددته إلينا." بما أن المكتوب "أحد"، فهذا يعني رجلاً، والنساء خارج الإتفاق.

القرآن الكريم أكد على استثناء النساء ضمن هذا الحكم الصريح للرجال.
قاعدة

ذكر علماء الأصول أن القرآن يمكن أن يخصص السنة، أي يبين أن الحكم العام لا يشمل بعض أفراد.

{ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ}

الله سبحانه وتعالى فصل بين الرجال والنساء في هذا الحكم، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعدم رد النساء إلى المشركين، بينما تبقى المعاهدة مستمرة بحق الرجال فقط.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ}

الإمتحان وفيه قولين:

القول الأول:

التأكد من أن المرأة قد هاجرت رغبةً في الإسلام، وليست هاربة لأسباب دنيوية أو شخصية: كمشاكل مع زوجها، أو راغبة في المال، أو انتقام أو نقمة على أهل مكة. فأن تنطق الشهادتين؛ صادقة، فهي قد أسلمت.

القول الثاني:

يشمل القول الأول إضافة إلى

البيعة على أحكام الإسلام:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ}

(الممتحنة: 12)

بعد هذا الإمتحان، المرأة لا تُرد أبدًا إلى المشركين.

دخول الإسلام يكفي فيه الشهادتين، ولكن قبول أحكام الإسلام واستمرارها دليل على استقامتها في الإسلام.

حماية المرأة المهاجرة في الإسلام

أمر الإسلام بإنهاء عصمة المرأة المسلمة عن زوجها الكافر بعد الهجرة، ومنع تمكين الكفار منها؛ لأن إعادة المرأة إليهم قد تعرّضها للإكراه أو الضغط الديني أو الاعتداء والتعذيب. طبيعة المرأة أنها أضعف من الرجل في مواجهة القوة أو الإكراه.

هذا الحكم يدلّ على عناية الإسلام العظيمة بكرامة المرأة، وصيانة دينها، ومراعاة إختلاف قدرتها على التحمل في ظروف الخطر.

حماية المرأة تحت رعاية المسلمين بعد الهجرة :

عندما تهاجر المرأة المسلمة، يتولى المسلمون حمايتها من المشركين وأي تهديد محتمل. فإذا نطقت الشهادتين، وقبلت شعائر الإسلام، عُدتّ مسلمة، ويُعامل إيمانها بحسب ظاهر حالها، وتُترك سريرتها لله تعالى.

وبعد التثبّت من إسلامها، تُمنح الحماية الكاملة، ويُثبّت وضعها بين المسلمين، ولا تُعاد إلى الكفار مطلقًا؛ حمايةً لدينها وصونًا لكرامتها ومنعًا للفتنة أو الإيذاء.

هذا يبرز حرص الإسلام على سلامة المرأة، وصون إيمانها، والالتزام بالحكم الشرعي القائم على الظاهر.

قبول الإسلام والالتزام بأحكامه :

دخول المرأة في الإسلام يبدأ بالتأكد من رغبتها الصادقة، ثم بنطقها بالشهادتين، فتصير مسلمة. وبعد ذلك يُعرّض عليها الإلتزام بأحكام الإسلام؛ لأن استمرار الإيمان مشروط بقبولها لأصول الانقياد لله تعالى. فمن رفضت الانقياد لأحكام الإسلام بعد ثبوت الإسلام عدّ ذلك ارتدادًا. وغالبًا يُكتفى بالشهادتين، وقد تُضاف البيعة على شعائر الإسلام لتأكيد قبولها الكامل للدين. هذا يضمن أن المرأة اختارت الإسلام طوعًا، وأن مجتمع المسلمين يحفظ إيمانها دون أي صورة من الإكراه.

وينطبق الحكم نفسه على المرأة النصرانية إذا أسلمت

إذا أسلمت امرأة نصرانية، فالشهادتان تكفيان لإثبات دخولها الإسلام، ثم يُعرض عليها الالتزام بأحكام الإسلام لضمان ثباتها في الدين.

{اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ}

الإيمان له ظاهر وباطن:

الظاهر: نطق الشهادتين وما يظهر من إلتزام المرأة بأحكام الإسلام، وهو الذي تُبنى عليه الأحكام الشرعية.

الباطن: ما ينعقد في القلب، وهو أمر لا يعلمه إلا الله تعالى.

المسلمون يتعاملون بالظاهر في كل الأحكام العملية مثل:

الزواج، والميراث، والصلاة، والتغسيل، والدفن.

التمييز بين المسلم والكافر يكون بالظاهر، مع ترك السرائر لله تعالى.

{فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ}

حكم ردّ النساء إلى الكفار :

بعد التأكد من إسلام المرأة، *يحرم* إعادتها إلى الكفار حمايةً لها من الفتنة والإكراه والتعذيب، ولضمان بقائها مستقرّة على الدين.

{لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ}

بعد نزول هذه الآية، أصبح بقاء المرأة المسلمة مع زوجها الوثني غير جائز.

قبلها، كان يمكن للمرأة أن تُسلم وتبقى مع زوجها الوثني دون أن يفسد إسلامها، أما بعد الآية فصار ذلك محرماً.

الوثنية : عبادة الأصنام والأوثان.

مثال ذلك:

زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت زوجة لأبي العاص بن الربيع، ولم يكن قد أسلم في البداية، فبقيت على عصمته قبل نزول الآية.

وفي غزوة بدر خرج مع قريش فوقع في الأسر، فأرسلت زينب قلادة ورثتها عن أمها خديجة لفدائه، فرق النبي صلى الله عليه وسلم لحالها فأطلق سراحه بشرط أن يرسلها إليه.

وبعد هجرتها انفصلت عنه لأنها مسلمة وهو على الشرك.

ثم بعد سنوات أسلم أبو العاص وقدم المدينة معلناً إسلامه، فعاد زوجاً لها على الإسلام.

بعد نزول الحكم، أصبح الانفصال واجباً بين المسلمة وزوجها الوثني، كما لا يجوز للمسلم أن يبقى على زوجة وثنية غير كتابية.
أما الزواج من اليهودية أو النصرانية فمباح في الشريعة، بشرط العفة وأن تكون حرة.
تطبيق الصحابة للآية
طلق سيدنا عمر رضي الله عنه امرأتين من زوجاته لأنهما كانتا مشركتين.
مما يدل على أن المرأة المسلمة لا يجوز أن تبقى مع زوجها الكافر، ولا يجوز للكافر أن يتزوج مسلمة.

حكمة التفريق بين المرأة المسلمة والكافر :

لا يجوز لمسلمة أن تتزوج كافراً أو أن تبقى تحت عصمته مهما كان دينه: سواء كان مشركاً أو ثنياً أو ملحدًا.
لحماية المرأة من الفتن أو الضغط، وحماية دينها وأولادها.
لأن الكافر قد يضغط عليها أو يؤثر على دينها، وقد يرّبي أولادها على عقيدته.

الحكمة من إباحة زواج الرجل المسلم من نساء أهل الكتاب (اليهودية أو النصرانية):
لأن للرجل ولاية وسلطان على الزوجة والأسرة، فيمكنه دعوتها للإسلام، ويرّبي أولاده على دين الإسلام.

تحذير للفتاة المسلمة المعاصرة :

بعض بنات المسلمين يقعن في حب كافر أو نصراني، وهذا حرام شرعاً لا يصح عقده بل يعد زناً، حتى لو وافق الولي أو وُجد شهود على العقد.
يجب توعية بنات المسلمين بالالتزام ووجوب الشرع ، لحمايتهن من الإثم ومن الضلال.
{وَأَتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}
حكم الزواج بعد انفصال المرأة المهاجرة عن الكافر
بعد انتهاء عدتها من الكافر، يجوز للمسلم الزواج بها.
بشرط أن يُعطيها مهرًا كاملاً، فهو حق لها واعتراف بكرامتها.

يجب أن يكون مهر المرأة مناسباً لدينها ومكانتها، ولا يجوز استغلال ظروفها ولو كانت مهاجرة حديثاً للزواج منها بلا مهر.

المقصد من إعطاء المهر للمرأة

إكرام المرأة فالمهر حق خالص لها وملك مستقل.
يصونها من الاستغلال بعد انفصالها عن الزوج الكافر.
يعكس عناية الإسلام بكرامتها، سواء كانت مهاجرة أو مقيمة.

في بعض الأعراف، قد يستخدم الوالد جزءًا من المهر للمساعدة في تكاليف الزواج، ويُعد ذلك من الإحسان وكرمًا من المرأة، لكنه ليس واجبًا.
الأهم أن تكون المرأة مالكة لمهرها، وأي استخدام له يجب أن يكون بموافقتها لعذر مشروع.

حق المهر عند ارتداد الزوجة أو المرأة المهاجرة

{وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ}

إذا ارتدت المرأة المسلمة عن الإسلام وانضمت إلى الكفار، فمن حق الزوج المسلم أن يطالب باسترداد المهر الذي دفعه لها.

{وَلَيْسَ لَهَا مَا أَنْفَقُوا}

العكس أيضًا:

إذا أسلمت امرأة كافرة وتركت زوجها وذهبت إلى المسلمين، فمن حق الكافر استرجاع المهر الذي دفعه لها.

الآية تطبيق عملي للقسط ومن كمال عدل الإسلام.

{ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

الحكم إلهي، قائم على العدل والحكمة، والله يضع الشيء في موضعه.

(الآية 11)

{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ}

لو افترضنا أن زوجًا مسلمًا ارتدت زوجته عن الإسلام وذهبت إلى الكفار، وطلب من هؤلاء الكفار استرداد مهرها، فإذا رفضوا دفعه، جاءت الآية لتوضح كيفية التعامل مع هذا الموقف.

عندما تصل نساء مسلمات جديدات إلى المدينة، ويُطالب الكفار بمهرهن، يتم خصم قيمة المهر المستحق للمرأة المرتدة من المهر المقرر للنساء المسلمات الجديدات.

{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ}

ارتدت زوجتك أيها المسلم وذهبت منك إلى الكفار.

{فَعَاقَبْتُمْ}

تحتمل معنيين عند العلماء:

1. من العقوبة:

أي: عاقبتم الكفار بأخذ جزءٍ من المال الذي هو حقٌّ لكم، وذلك عندما يرفضون أن يعطوا المسلم المهر الذي دفعه لزوجته المرتدة. فيُقتطع هذا المبلغ من الأموال التي سيدفعها الكفار لاحقًا مقابل مهر النساء المسلمات القادمات إلى المدينة.

2. من العقب (ما بقي)

أي: فعاقبتم بمعنى احتفظتم بالعقب، وهو ما بقي لكم من الحقوق. فتخصمون حق الزوج المسلم أولاً من المال الذي سيدفعه الكفار، ثم يُعطى لهم الباقي. هذا هو معنى المقاصة:

مثال توضيحي:

إن كان المسلم يطلب منهم 50,000 وهم يطلبون من المسلمين 150,000، فيُخصم حق المسلم ويبقى لهم 100,000 فقط.

فإذا كان للمسلم مهر مستحق لم يدفعه الكفار:

يُخصم حقه من المال الذي سيدفعه الكفار للمسلمات القادمات. ويُعطى للزوج المسلم قدر ما أنفق.

وإن لم يكن عند المسلمين مال للكفار ليُجرى الخصم منه

يُعطى المسلم حقه من:

الغنائم إن وقع قتال.

الفيء إن لم يقع قتال.

وذلك قبل تقسيم الغنائم، تحقيقاً للعدل وردّ الظلم.

من عدل الإسلام أنه ضمن للمسلم حق مهره كاملاً

إما عن طريق الخصم من حقوق الكفار (المقاصة)، أو من الغنيمة أو الفيء إن لم يوجد مال يُخصم منه.

(الآية 12)

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

تفاصيل بيعة النساء في الإسلام

النبي صلى الله عليه وسلم كان يبايع النساء على الالتزام بشعائر الإسلام، ولكن بطريقة تختلف عن بيعة الرجال.

بنود بيعة النساء :

الالتزام بشعائر الإسلام التالية، كما ورد في القرآن الكريم وفي أحاديث الصحابة:

عدم الشرك بالله

عدم السرقة

عدم الزنا

عدم قتل الأولاد

عدم البهتان والافتراء

طاعة المعروف.

سميت بيعة العقبة الأولى بإسم "بيعة النساء" لأنها تتطابق وتتشترك مع بنود بيعة النساء.

وكلاهما يختلف عن بيعة العقبة الثانية التي تضمنت الجهاد والدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم.

طريقة المبايعة

يروى عروة بن الزبير، وهو ابن أسماء وخالته السيدة عائشة رضي الله عنها، إن عائشة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية فقال عروة وقالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد بايعتك كلامًا" والله ما مست يده يد امرأة في مبايعة قط وما بايعهن إلا بقوله "قد بايعتك على ذلك" ثم قلن يا رسول الله، ألا تصافحنا؟ قال إني لا أصافح النساء إنما قولي لامرأة كقولي لمئة امرأة.

موقف النبي صلى الله عليه وسلم من مصافحة النساء

رفض النبي صلى الله عليه وسلم وهو في أشرف بقاع الأرض أن يصافح النساء أو يمس أي امرأة ليست من محارمه، حتى في أعظم البيعات.

فقال عليه الصلاة والسلام:

"إني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأة كقولي لمئة امرأة."

فبايعهن كلامًا فقط، كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها:

"والله ما مس رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط إلا محارمه."

بعض الفتاوى الخاطئة تقول إن المصافحة تعتمد على "النية"، وهذا خطأ، لأن النية لا يمكن للإنسان أو غيره أن يعلمها بدقة، والنبي صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق وفي أشرف موقف، وأشرف النساء امتنع عن المصافحة حفاظًا على الحكم الشرعي المطلق، وليس مرتبطًا بالنية.

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:
"ليطعن أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له."

الهدف من عدم مصافحة النساء* منعًا للفتنة، وسد ذريعة الشر وحفظ كرامة المرأة وحماية حرمة المحارم وصون للحياء والحدود الشرعية.
كما يكرم ويحافظ على غيرة الرجال وكرامتهم وحقوقهم الشرعية تجاه محارمهم.
و هو حكم مطلق يجب الالتزام به واحترام حدود الله وحماية الحرمات من الانتهاك.

بنود بيعة النساء

كانت البيعة على تفاصيل شعائر الإسلام، تشمل:

1. عدم الشرك بالله:

الإلتزام بالتوحيد والابتعاد عن الشرك الأكبر والأصغر.

2. عدم السرقة:

منع أخذ أموال الغير بغير حق.

روت هند بنت هند (زوج أبي سفيان) حادثة توضح هذا البند

سألت النبي صلى الله عليه وسلم: "أن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني ما يكفيني، فهل لي أن آخذ من ماله؟" فأجابها عليه الصلاة والسلام: "خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف."
إذن، المرأة تأخذ بالقدر الكافي للمعيشة المعتادة فقط، دون إسراف أو تعدُّ على حق زوجها.

يجب أن تستأذن عند أخذ ماليس لك حتى لو كان لأخيك.

3. عدم الزنا:

الإلتزام بالعفة والطهارة.

موقف فاطمة بنت عتبة في بيعة النساء

فقد أظهرت حياءً شديداً عند سماع قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ولا يزينين" في البيعة. وضعت فاطمة يدها على رأسها حياءً من الكلمة، إذ أحست بثقل المعنى وخجلت من مجرد سماعها.

تروي السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أعجب بهذا الحياء الشديد الذي ظهرت به فاطمة.

وبناءً على ذلك، قالت عائشة: "أقرّي يا أيتها المرأة" أي: بايعن على الالتزام بالشروط، فبايعن.

درس للبنات في العصر الحديث مع الانفتاح الإعلامي

تجنّب سماع الكلمات أو المشاهد المخلة بالحياء من أفلام أو مسلسلات أو برامج غير لائقة، وعدم الخوض فيه.

عدم الانصياع لما يُقدّم على أنه "ثقافة" أو "مزاح" ويحتوي على كلام إباحي أو مشاهد غير أخلاقية.

موقف هند امرأة أبي سفيان

عندما استمعت إلى قول النبي: "ولا يزينين"، قالت مستغربة: "أتزني الحرة؟!"

قصدت بذلك أن الزنا كان يُرتكب بين الإماء أو النساء غير الحرائر في الجاهلية، أما المرأة الحرة الشريفة فلم تكن تزني.

المرأة الحرة تعني المرأة العفيفة، وأن الزنا كان مرتبطاً بالنساء دون الحريات أو الشرف في الجاهلية.

وهذا يُظهر أن العفة كانت معياراً للمرأة الحرة في الجاهلية، وليس مجرد مصطلح حديث مرتبط بالاختيارات الشخصية.

العفة والمستوى الاجتماعي

في الجاهلية، كلما ارتفع المستوى الاجتماعي للمرأة، كلما نُدرت الفواحش وازداد سترها، وكان يُعرف شرفها من ملابسها.

وكما قل المستوى الاجتماعي، ازدادت الفواحش والعري والزنا.

الحياء والعفة ليسا مجرد صفات شخصية، بل جزء من القيم الإسلامية العليا.

المرأة الحرة الشريفة هي التي تلتزم بما أمر الله، وتحفظ كرامتها وشرفها.

الحياء من سماع كلمة الزنا أو الحديث عنها دليل على تمسك المرأة بالقيم الأخلاقية والدينية.

4. عدم قتل الأولاد:

ففي الجاهلية كان القتل بسبب الفقر أو وأد البنات خوفاً من العار.
النساء من الجاهلية إلى الحرية الحديثة

في الجاهلية، كان قتل البنات أمراً شائعاً في بعض القبائل، خوفاً من العار المرتبط بالزنا.
أما اليوم، فإن بعض الأسر تسمح لبناتهم بالتصرف بحرية مطلقة، دون قيود.
و كثير من الناس لا يرضون بذلك، كما لم يكن أبو جهل يرضى بقتل البنات في زمانه.

الإسلام يحظر الإجهاض بعد نفخ الروح، إلا عند تهديد حياة الأم، ويُتخذ القرار بموافقة الطبيب.

5. عدم البهتان والافتراء:

اجتناب نشر الأكاذيب والفواحش.

تحريم الزنا والنسب الكاذب

في الجاهلية: بعض النساء كن يزنيْن وينسبن أولادهن لأزواجهن، أحياناً باتفاق مع رجال آخرين
للحصول على صفات وراثية.

الإسلام: حرّم الزنا والنسب الكاذب، وحفظ حقوق الأبناء والأنساب.

المقارنة بالغرب

في بعض الدول، يظهر الزنا والنسب الكاذب بكثرة، كما في برامج تكشف عدم انتماء الأولاد
لآبائهم البيولوجيين.

في بعض المجتمعات الغربية، تنجب المرأة خارج إطار الزواج من خلال بنوك الحيوانات المنوية
دون معرفة الأب.

الإسلام يحمي الأنساب ويصون الحقوق الأسرية والأخلاقية، بينما بعض المجتمعات الغربية
يركزون على التقدم المادي والتقني دون الالتفات إلى القيم الأخلاقية والاجتماعية، مما قد يؤدي
إلى فقدان الروابط الأسرية واختلاط الأنساب.

جاء الإسلام ليحمي المرأة من الانحراف والفساد الأخلاقي، ويضمن لها العفة والحياء والأمان
الأسري.

6. ولا يعصين في المعروف.

{وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

والاستغفار لهن من الله رحمةً ورفقاً، لأن الجميع معرض للخطأ.

(الآية 13)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ }

النهي الذي جاء في أول السورة عن موالاة الكفار الذين غضب الله عليهم.

{ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ }

يأس الكفار الذين لم يؤمنوا وبسبب كفرهم فما عندهم رجاء برحمة ولا ثواب ولا أجر.

{ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ }

هناك احتمالان للتفسير:

1. الكفار الأحياء يئسوا من لقاء أصحاب القبور بسبب كفرهم بالبعث.
 2. (من) البيانية: (تبين حال الكفار) أي كما يئس هؤلاء الكفار الذين أصبحوا في القبور من كل خير في الآخرة عندما رأوا مصيرهم من العذاب.
- كلا الاحتمالين يوضح عظمة الحق والعدل الإلهي.

انتهت السورة المباركة، وفهمنا منها الكثير من الدروس الجديدة.

فرصة رائعة لحفظ سورة الممتحنة بسهولة الآن.

نسأل الله التوفيق والهداية للجميع.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

أهلاً ومرحباً بكم في اللقاء التاسع من لقاءات هذه الدورة الطيبة المباركة، دورة مدرسة قد سمع.

بفضل الله سبحانه وتعالى أنهينا السور الثلاث الأولى من جزء قد سمع:

سورة المجادلة، سورة الحشر، سورة الممتحنة.

"معنا اليوم الدرس التاسع – بإذن الله – نتدارس فيه سورة الصف، سورة كبيرة وعميقة، وسنسعى للاختصار قدر المستطاع نستعين بالله ونسأله التيسير والتوفيق.

ونذكر دائماً بأن تكون نيتنا في المدارس:

العمل، تدبر القرآن، حفظ ما نستطيع، الصلاة بما فهمناه، وشكر الله على نعمة العلم والفهم، وأن نعيم الدنيا في مدارس القرآن.

التعريف العام بالسورة

سورة الصف سورة مدنية

وموضوعها الأساسي هو:

الاستجابة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم.

محاوِر السورة

1. تقرير أن كل ما في الكون يسبح لله.

2. عتاب المؤمنين: لماذا تقولون ما لا تفعلون؟

3. أمثلة من الأمم السابقة وعبرها.

4. الدعوة للجهاد وبيان فضله.

5. الأمر بأن نكون من أنصار الله.

الثناء على المجاهدين صفًا، وعرض قصة موسى مع قومه الذين لم يستجيبوا له، ثم قصة عيسى والحواريين الذين استجابوا وكانوا أنصارًا لله. ثم دعوة المؤمنين للاستجابة لأمر الله ودخول التجارة الرابعة بالطاعة والجهاد، وتبشّرهم بالجنات والنصر والفتح القريب.

تنبيهات الاستعداد للسورة:

لأن ثمرة السورة هي الاستجابة، أهبط نفسي قبل تلاوتها بمراجعة تقصيري، واستحضار ضعفي، ومعرفة ما أعلمه حقًا ولا أطبقه، وما أعلمه خطأ ولم أثب منه، حتى أدخل السورة بنية الخروج باستجابة جديدة.

ثمرة السورة:

أن أخرج بطاعة عملية ألتزم بها في كل ما قصرت فيه: كالمحافظة على صلاة الفجر، وتحسين حجابي، وترك الغيبة والنميمة، وقطع علاقة محرمة، أو الرجوع إلى طاعة هجرتها.

(الآية 1)

{ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }

سَبَّحَ لله: أي نزهه عن كل نقص وعيب.

كل من في السماوات والأرض مستجيب، إلا عصاة بني آدم وعصاة الجن.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى، فقال: "ما تستقل الشمس بشيء إلا وهو يسبح الله تعالى إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم".

كل ما تشرق عليه الشمس يسبح لله؛ الطير والبهائم والبحار والأشجار والملائكة كلهم مطيعون لله، ولا يخرج عن هذا النظام إلا الشياطين وبعض البشر الذين يجهلون سبب وجودهم.

العقل والحكمة يدعوان إلى طاعة الله ورسوله. والعاصي والكافر يسيران عكس اتجاه الكون كله.

قد تبدو الطاعة غريبة بين الناس * لكن عند التأمل ستجد أنك منسجم مع الكون كله، وأن الخارج عن هذا النظام قلة من البشر فقط.

الفتاة التي تتحجب وتغترب بين زميلاتهن، يكفي أن تنظر إلى السماء والأرض لتدرك أن الكون كله معها، وأنها في الطريق الصحيح ومنسجمة مع الخلق.

العاصي خارج عن انسجام الكون؛ لأنه ليس على الطاعة. وهذا يهون غربة السائر إلى الله.

أمر الله كامل لا خطأ فيه، فهو من العليم الخبير الذي خلق الإنسان ويعلم ما يصلحه.
العقل الصريح يقول: استجب فوراً، ولو لم تفهم كل شيء.
أما تعليق الطاعة على الاقتناع، فذلك مع البشر، لا مع رب العالمين.

بعد أن بينت السورة استجابة كل مافي الكون لله، خاطبت المؤمنين لطاعته وطاعة رسوله،
وختم الآية بـ **{الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** يؤكد معنى الطاعة.
فإذا آمنت بأن الله منزّه عن النقص، يصبح من الضروري الانقياد لدينه بلا تردد.
الآية تجمع بين الترغيب والترهيب؛ العزة تتضمن معنى القدرة والقهر، مما يحمل في السياق
معنى التحذير.

الإنسان العاقل لا يراجع في أوامر الله ، لأن الله:
عزيز: غالب لا يُغلب.

حكيم: كل أمره في موضعه ولا يخلو من حكمة.

الجمع بين العزيز والحكيم يجمع كمالين عظيمين، فالعزة وحدها كمال، والحكمة وحدها كمال،
 واجتماعهما يمثل كمالاً فوق الكمال. فالإنسان قد يكون قوياً لكنه يخطئ، أو حكيماً لكنه ضعيف،
أما الله سبحانه وتعالى فهو عزيز حكيم، فقد اجتمعت فيه كل كمالات القوة والحكمة.

(الآيتان 2 - 3)

{ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }
ذمّ إدعاء الإنسان ما لا يفعله

كَبُرَ مَقْتًا: عظم الغضب عند الله

ذُكرت في سبب نزول الآية عدة أقوال:

القول الأول: إن هذه الآية نزلت في بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يسألون
كثيراً عن الأعمال التي يحبها الله، ثم لا ينفذونها جميعاً. فعاتبهم الله قائلاً: **{لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ؟}** أي: إذا تحمست لفعل شيء أو طلبت أمراً، فلتكن ملتزماً بوفاء وعدك.

القول الثاني: إن الآية نزلت بعد غزوة أحد، حين سأل الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم عن
أحب الأعمال إلى الله، فأخبرهم بأن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً. ولكن يوم أحد
تفرقوا وفرّوا، فعاتبهم الله قائلاً: **{لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ؟}**

القول الثالث: إن الآية نزلت في قوم كانوا بعد المعركة يبالغون في وصف أعمالهم، فيقولون: "قاتلت" وما قاتلوا، و"ضربت" وما ضربوا، و"جاهدت" وما جاهدوا، فيمدحون أنفسهم بما لم يفعلوا.

وقد قال الله تعالى:

{ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (آل عمران 188)
إِيَّاكَ أَنْ تَحِبَّ أَنْ تُحْمَدَ بِمَا لَمْ تَفْعَلْ.

مما يدخل في معنى: {لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}.

بعض الناس يُمدح على أعمال لم يقم بها، فيفرحون، لكن الصادق يقر بحقيقته ويقول: "لست صائماً أو قائماً، ولا أفعل ما يُنسب إليّ"، فلا يتزين بما ليس فيه وذلك من التواضع والأدب. على الإنسان أن يتجنب النفاق، فيلتزم بوعوده ومواعيده ولا يخالفها.

الآية تشير إلى عتاب من يَعِد ثم لا يَفِي، مما يبين أن عدم الوفاء بالوعد هو نوع من الكذب. وقد أكّد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُوْتِمَن خان."

ويُروى عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه عندما سُئِلَ عن: "كيف تعرف الكذابين؟" فقال: "بمواعيدهم".

عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال: دعّني أُمي يوماً ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قاعدٌ في بيتنا فقالت: يا عبدالله تعالْ أعطيك فقال لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وما أردتِ أنْ تعطيه؟ قالت: أعطيه تمرًا، فقال لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أما إنك لو لمْ تُعطيه شيئاً كُتِبَتْ عليك كَذِبَةٌ.

الزجر والتحذير من الكذب في كل الأحوال مهما كان الأمر يسيراً.

النفاق العملي قد يظهر في المؤمن، لكنه خطير لأنه يشبه صاحبه بالمنافقين، وقد يقوده إلى النفاق الأكبر. من علاماته: كثرة الكذب، وإخلاف الوعد، وخيانة الأمانة. ولهذا جاء العتاب للتنبيه على خطورة هذه السلوكيات.

من صور عدم الوفاء المعاصرة
على الرغم من إلزام الشخص بعبادات عديدة إلا أنه لا يلتزم بالوعود ، ومن ذلك:
من يقترض ويعد بالسداد ثم لا يفي مع قدرته
من يحدد موعدًا ولا يلتزم به
من يعد بإنجاز أمر مهم ثم يتركه.
من يحدد مكان اللقاء ثم يعتذر بعد وصول الطرف الآخر.

(الآية 4)

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ }

بعد العتاب على ما لا يترتب عليه فعل، أثنى الله على أهل الفعل الحقيقي:
حين سئل النبي صلى الله عليه وسلم عما يحبّه الله، جاء الجواب جامعًا لمعنى القوة والانضباط:
"إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوص."

كان العرب قبل الإسلام يعرفون القتال العشوائي الذي يشبه هجمات القبائل وقطع الطريق، لا نظام فيه ولا ترتيب. فلما جاءت الغزوات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، تعلّموا لأول مرة معنى الجندية المنظمة، والانضباط في الميدان. وفي غزوة بدر تجلّى الفعل الحقيقي فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقيم الصحابة صفاً بعد صف، يعدّل مواضعهم، وينظّمهم حتى يصبحوا بنياناً مرصوصاً

معنى القتال "صفاً" :

يحبّ الله أن يقاتل المؤمنون منظّمين؛ لأن النظام أساس التعاون وسبب لتعظيم أثر العمل. فالعمل الجماعي دائماً أقوى من العمل الفردي، ويحقق نتائج أعظم بكثير مما ينتجه كل فرد بمفرده.

أهمية الاصطفاف في ساحة القتال

1. يمنح المقاتلين قوةً وهيبة في المواجهة.
2. يتيح لكل مقاتل دعم الآخر وحمايته.
3. الجبهة المتماسكة تكون أقوى وأكثر تأثيراً من المقاتلين المتفرقين.
4. يعزز الاصطفاف روح الانضباط والتعاون الجماعي بين المؤمنين.

{بُئِنَّا مَرْصُوصٌ}

القول الأول (وهو الأشهر): أنهم متراصون، متقاربون، يشد بعضهم أزر بعض، مثل حجارة متماسكة لا فراغ بينها.

القول الثاني: أن المرصوص من الرصاص؛ كأن البناء قد حُشي بالرصاص بين أحجاره، فيزداد صلابة وثباتاً. وهو معنى لغوي محتمل، لكنه أضعف من القول الأول.

الآية وعلاقتها بالواقع الاجتماعي

مع أن الآية جاءت في سياق القتال، إلا أن معناها يتسع ليشمل كل مجالات الحياة؛ فهي تؤسس لمبدأ الاجتماع وعدم التفريق:

ليس كل خلاف يستحق أن يتحول إلى خصومة.

وليست العلاقات الدعوية أو التعليمية ميداناً للتنافس والحسد.

التعاون بدل النزاع؛ قد يعمل الناس معاً سنوات في وئام، ثم يختلفون في مسألة سياسية أو اجتهادية، فيتشتت الجمع، رغم أن الخلاف قد يكون معتبراً ومحتملاً في الشرع.

والواقع أن أعداءنا يسرّهم تفرّقنا؛ فكلما ابتعد بعضنا عن بعض ضعفت قيمتنا وتأثيرنا، وكلما توحدنا واقتربنا ازداد قوة موقفنا وعظم أثرنا.

نحن مطالبون بالاجتماع على السنة، وإنكار الخطأ بهدف إصلاح الحال وحفظ وحدة الصف، لا تمزيق الناس وإثارة الخصومات.

صلة الآية بموضوع بالاستجابة* إن الوقوف في صف مرصوص من أقوى مظاهر الاستجابة.

من يبقى في مكانه الذي وضعه فيه النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة، ولا يتحرك عنه، إنما يعلن أعلى درجات الطاعة والانقياد.

(الآية 5)

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}

الآية نموذج لعدم الاستجابة – بني إسرائيل

بعد أن عرضت السورة الصحابة مثلاً للاستجابة والانضباط، قدمت نموذجاً معاكساً: قوم موسى عليه السلام الذين لم يستجيبوا له وأسأوا معاملته رغم كونه رسول الله إليهم.

العجيب أن الشاكي هو رسول الله موسى عليه السلام، والذين اشتكى منهم ليسوا الكفار، بل قومه ممن آمن به ومع ذلك آذوه مرات عديدة.

صور أذى بني إسرائيل لموسى عليه السلام

قالوا بتحدٍ صارخ :

{ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً } (البقرة 55)

وتذمروا من نعمة الله:

{ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَحِيدٍ } (البقرة 61)

وعندما أمرهم بدخول الأرض المقدسة قالوا وقولهم في غاية السوء:

{ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } (المائدة 24)

الإشاعات الجارحة: ففي شريعتهم كان الاغتسال عاريًا أمرًا جائزًا ، لكن موسى عليه السلام كان شديد الحياء فيغتسل وحده، فاختلفوا عليه كذبًا أنه يفعل ذلك بسبب "عيبٍ خلقي" — افتراءً وظلمًا.

خلق الله الأنبياء على أكمل ما يكون، حتى جسديًا، أراد الله أن يحمي موسى عليه السلام ويظهره لقومه في أفضل صورة ممكنة.

فبينما كان سيدنا موسى يغتسل واضعًا ثوبه على حجر، أمر الله الحجر أن يجري بأمره، فحمل الحجر ثوب موسى بقدرته الله.

موسى، من شدة حيائه، جرى وراء الحجر وهو يقول: "ثوبي حجر! ثوبي حجر!" ومرّ على قومه في هذه الحالة، فوجدوه بأحسن هيئة خلق الله.

عندما توقف الحجر، لبس موسى ثوبه بسرعة، وضرب الحجر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كأنني أنظر إلى أثر ضرب موسى".

رسالة في الحياء

رغم جواز الاغتسال عاريًا في شريعته، تحلى موسى عليه السلام بالحياء التام، ليكون قدوة للشباب والفتيات. فالحياء واجب لاستتار الجسم، وهو صفة متكاملة تدل على احترام النفس والآخرين.

الحياء لا يتجزأ .

أخبر الله ببراءة موسى قائلًا:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا }

(الأحزاب 69)

لكن قوم موسى لم يكتفوا بذلك بل جادلوه في كل أمر، مثل: ذبح البقرة، دخول الأرض المقدسة، الإيمان بأوامر الله.

{ فَلَمَّا رَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ }

الله لا يظلم أحداً، من أضله الله فهو بسبب نفسه لأنه بدأ بالزيغ.

قال تعالى:

{ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } (الأنعام

(110)

قال تعالى:

{ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } (النساء 115)

وقال تعالى:

{ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ

غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } (الجنات 23)

فمن يعبد ما هوي من شيء دون الله طبع الله على سمعه وقلبه فلا هداية له.

كيفية تجنب زيغ القلب

استجب استجابة جزئية إذا لم تستطع الاستجابة الكاملة .

اظهر النية الصادقة: "يا رب أنا مقصر لكن أريد الخير."

كل خطوة تقربك إلى الله تزيد الحيلة والبركة: "من تقرب إلى الله شبرًا تقرب إليه ذراعًا".

{ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }

أي أن الفساق الخارجين عن طاعة الله تعالى عمداً،

{ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (النحل 118)

فلا ظلم عليهم هم ظالمي أنفسهم.

(الآية 6)

{ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ

وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ }

دعوة عيسى عليه السلام كانت محدودة لبني إسرائيل فقط: عيسى عليه السلام خاطب بني إسرائيل ولم يخاطب جميع البشر، لأن رسالته كانت مخصصة لهم فقط.

كما جاء في الإنجيل: "إني أرسلتُ إلى خراف بني إسرائيل الضالة". مما يوضح أن الحملات التبشيرية "التنصيرية" المنتشرة عالميًا تتناقض مع النصوص الأصلية لرسالة عيسى عليه السلام، التي كانت موجهة فقط لبني إسرائيل. فإذا كان أهل الكتاب يلتزمون بفهم دينهم كما هو منصوص عليه، فإن نشر الرسالة للعالم بأسره يبتعد عن نطاقها الشرعي الأصلي ويناقض الأصل الذي جاءت به.

الفرق بين رسالة الأنبياء ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى في حق النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } (الأعراف 158)

{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } (الفرقان 1)

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (سبا 28)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبعثتُ إلى الناس كافة."

وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم:

"والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئتُ به إلا كان من أهل النار".

{ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ }

علاقة عيسى عليه السلام بموسى عليه السلام:

عيسى عليه السلام جاء مصدقًا للتوراة، وعاملاً بها. ورسالته ليست مستقلة، بل مكملّة للتوراة.

فالتوراة هي ما يسمونه العهد القديم، والإنجيل العهد الجديد.

الإنجيل يحتوي على:

رسالة أخلاقية، وبعض النسخ لبعض الأحكام في التوراة

كما قال عيسى عليه السلام

{ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ } (آل عمران 50)

فكانت التوراة سارية بينهم، والإنجيل إضافة للتشريعات والأخلاق.

{وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}

البشارة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشارة ثابتة في كتب أهل الكتاب، كما قال الله تعالى:
{ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ } (الأعراف 157)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

"أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى".

فسيدنا إبراهيم قال:

{ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (البقرة 129)

البشارات بالنبي عليه الصلاة والسلام

إيمان النجاشي واعترافه بالبشارة

عندما هاجر المسلمون إلى الحبشة، وكلم جعفر بن أبي طالب النجاشي، وآمن النجاشي بالنبي
صلى الله عليه وسلم فوراً؛ لأنه يعلم الحق في عيسى، ويعلم البشارة بالنبي الخاتم.
وعبد الله بن مسعود يحكي قصة الهجرة: "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي
ونحن نحو من 80 رجلاً، منهم جعفر بن أبي طالب وعثمان بن مظعون وغيرهم، وبعثت قريش
عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية.
فدخلوا على النجاشي، فسجدوا له، فقال عمرو: "إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن
ملتنا."

فبعث النجاشي إلى المسلمين، وقال جعفر: "أنا خطيبكم اليوم"، فتكلم.

سلم على النجاشي ولم يسجد له. فسأله: لماذا لا تسجد للملك؟

قال: "إنا لا نسجد إلا لله تعالى. بعث الله إلينا رسولاً وأمرنا ألا نسجد إلا لله، وأمرنا بالصلاة
والزكاة."

فقال عمرو بن العاص:

"أيها الملك، إنهم يخالفونك في أمر عيسى ابن مريم".

فقال النجاشي:

"وما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟"

قال جعفر:

"نقول كما قال الله عز وجل: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسهَا بشر".
قال: فرفع عودًا من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على
الذي نقول فيه ما يساوي هذا. مرحبًا بكم وبما جئتم، وبمن جئتم من عنده. أشهد أنه رسول الله،
وأنه الذي نجد في الإنجيل، وهذا الذي بشر به عيسى ابن مريم."
وأمر برد هدية المشركين إليهم.

اعتراف النجاشي برسالة النبي صلى الله عليه وسلم في وارتباطه بما جاء به عيسى عليه السلام
من بشارة.

بشارة سفر التثنية كما جاءت في التوراة

ورد في سفر التثنية الإصحاح 18، الفقرات 18 و19: "يا موسى، إني سأقيم لبني إسرائيل نبيًا من
إخوتهم مثلك، أجعل كلامي فيه، ويقول لهم ما أمره به، والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم
باسمي أنا أنتقم منه".

من إخوتهم" تشير إلى نسل إسماعيل، أي أن النبي صلى الله عليه وسلم من نسل إسماعيل.

بشارة إنجيل يوحنا

ورد في إنجيل يوحنا الإصحاح 16: "إن خيرًا لكم أن أنطلق، لأنني إن لم أذهب لم يأتكم ال
بارقليط."

كلمة بارقليط / بارقليوس / باراقليطوس أصلها يوناني وتعني "المبالغ في الحمد"، يعني "أحمد".
التحريف المسيحي حولها إلى "المُعَزِّي" إخفاءً لإسم النبي صلى الله عليه وسلم لتضليل الناس.
قال عيسى عليه السلام: إن لي كلاًّ كثيراً أريد أن أقوله ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء
روح الحق ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع
ويخبركم بما يأتي

وهذا مطابق للقرآن الكريم:

{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } (النجم 3-4)

أي أن النبي صلى الله عليه وسلم يبلغ الناس ما جاء به وغيبات كأشراط الساعة وغلبة الروم وغيرها.

بشارة سفر التثنية الخامسة
ورد في السفر الخامس: "أقبل الله من سيناء، وأشرق وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فاران".
سيناء رسالة موسى عليه السلام.
ساعير رسالة عيسى عليه السلام، بيت المقدس.
جبال فاران جبال مكة، أي رسالة محمد عليه الصلاة والسلام
الأنجيل الأربعة المشهورة: متى، مرقس، لوقا، يوحنا.

إنجيل برنابا
وهو *أكثر* الأنجيل بشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم بصريح الكلام.
وهو غير معتمد عند النصارى، ويُخفي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيه.
نص صريح من إنجيل برنابا: "وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع الذي يؤمنون به".
سبب إخفائه لاحتوائه على ذكر واضح للنبي صلى الله عليه وسلم وتأكيده بشارته.

بشارة سفر أشعياء
"إني جعلت اسمك محمدًا، يا محمد، يا قدوس الرب، اسمك موجود من الأبد."
وفيه أوضح البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم.
تؤكد أن اسمه وذكره كان معروفًا مسبقًا قبل بعثته، مما يوضح استمرارية الرسالات الإلهية.

كتب مهمة في بيان بشارات الأنبياء عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم*
كتاب إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي.
كتاب هداية الحيارى من النصارى للإمام ابن القيم.
كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.
هذه الآية تبين أن عيسى عليه السلام بشر قومه بقدوم الرسول صلى الله عليه وسلم.
{ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ }

الخلاف في الضمير في قوله تعالى: {جَاءَهُمْ}
للمفسرين قولان:

القول الأول:
قاعدة

الضمير يعود على أقرب مذكور وهو: أحمد.
عندما جاءهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالبينات قالوا أن ماجاء به سحر، فكفر به
النصارى واليهود.

القول الثاني:

الضمير يعود على عيسى عليه السلام.
عندما جاء عيسى لليهود بالبينات قالوا: أن ما جاء به سحر وكذبوا به.
وكلا المعنيين صحيح، وفيهما توسيع للمعنى؛ إذ يظهر أن:
اليهود كذبوا عيسى عليه السلام،
والنصارى واليهود كذبوا النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

(الآية 7)

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }
يخبر الله تعالى أن أظلم الناس من: يفتري الكذب على الله، ويدعى إلى الإسلام، ثم يمنع الناس من
الهداية ويصدّهم عن الحق.

وهذا ينطبق على:

مَنْ بَدَّلَ وَحَرَّفَ فِي كِتَابِ اللَّهِ،
من كتم صفات النبي صلى الله عليه وسلم،
أضل عن أتباعه للهداية
غَيَّرُوا التَّارِجِمَ لِإِخْفَاءِ ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أعظم أنواع الظلم؛ حرمان الناس من الهداية، وأن يضل الناس عن الجنة وهو صد عن سبيل الله.
(الآية 8)

{ يُرِيدُونَ لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }

يضرب الله مثلاً عظيماً:

كأن من يريد أن يطفئ نور الله مثل من يحاول أن ينفخ في الشمس ليطفئها، وهذا عبثٌ مستحيل، والله المثل الأعلى.

{وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ}

هذا المعنى يوضح حقيقة عظيمة: أن الله عز وجل سيتم نوره وينصر دينه سواء عملنا نحن أم لم نعمل.

هذا يعلمنا أن مسؤوليتنا تجاه الدعوة والنصرة شخصية وأصلية، وأن أي تقصير في واجبنا يمكن أن يكون سبباً للمساءلة أمام الله.

لذلك، العمل في نصرة الدين، واجب علينا لسلامة أنفسنا وضمن رضا الله.

الدين منصور بقدرة الله، وواجبنا في الدعوة ليس لننصره، بل لننقذ أنفسنا وننال رضا الله. حديث يؤكد للمعنى:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والله لِيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ بَعْزٌ عَزِيزٌ أَوْ بَذَلٌ ذَلِيلٌ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ».

سينتشر هذا الدين في كل بيت، وسيحدث ذلك في آخر الزمان بعد نزول عيسى عليه السلام. أساليب تحفيز الله تعالى للمؤمنين :

1- بالأجر والثواب التحفيز بالتسبيح: بيان أن الكون كله يسبح، فيجب على الإنسان أن يستجيب.
2- التحفيز بصفات الله:

العزیز الحكيم؛ فاستجابتك هي استجابة لربك العزيز الحكيم.

3- التحذير من مخالفة القول الفعل مثل قوله تعالى:

{ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ }.

4- ضرب الأمثلة بالنموذج والقدوة: أمثلة لمن استجابوا فأثنى الله عليهم، ولمن لم يستجيبوا فأصابهم العقاب.

5- التحفيز بالثواب (وهو أسلوب منتصف السورة):

ماذا سيأخذ المؤمن؟ ما هو الثواب؟

الله عز وجل ناصر دينه لامحالة، والله متم نوره رغم كراهية الكافرين.

(الآية 9)

{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }

يبين الله تعالى أنه:

أرسل نبيه صلى الله عليه وسلم بالحق، وسيُظهر هذا الدين على سائر الأديان مهما حورِب.

من دلالات الواقع:

رغم ضعف إمكانات المسلمين،

قلة الدعاة، ضخامة الأموال المرصودة للتنصير، الحملات المكثفة لتشويه الإسلام، مكر المنافقين في بلاد الإسلام،

إلا أن الإسلام ينتشر انتشارًا مذهلاً في: أوروبا، أمريكا، جنوب شرق آسيا، آسيا كلها.

الله هو الذي يتولى نصرة هذا الدين.

(الآية 10)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَىٰ تَجَرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ }

أعظم تجارة مع الله

كلمة تجارة توحى مباشرة بالربح، ولذلك يبدأ الله بوعده يدفع الضرر: تنجيكم من عذاب أليم. الإنسان بطبيعته مجبول على دفع الضرر قبل طلب النفع.

(الآية 11)

{ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }

يبين الله العمل المطلوب لتحقيق هذه التجارة.

الإيمان هو بوابة دخول الجنة، والجهاد بالنفس والمال هو الطريق.

بدأ الله بالمال قبل النفس، لأن كثيرًا من ميادين الجهاد لا تقوم إلا بالإنفاق.

حقيقة صفقة الإيمان

الله يرزقك المال والصحة والعمر، ثم يطلب منك جزءًا يسيرًا منها طوعًا مقابل الجنة التي تدخلها برحمته.

المال مال الله أصلاً

بدليل قوله تعالى في الآيات:

{ وَءَاتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتٰكُمْ } (النور 33)

{ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ } (الحديد 7)

{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }

(آل عمران 180)

يطلب الله منك أن تُنفق، في الزكاة أو الصدقات أو النفقة الواجبة.

الله مالك المال قبل خلقه وبعد فنائه، وهو وارثه لا محالة.

صفقة عظيمة: الله يعطيك المال والصحة والعمر، ثم يطلب منك جزءاً طوعاً مقابل الجنة والمغفرة والنصر.

كل ما أمر به الله تعالى في حدود القدرة، ولا يكلف نفساً إلا وسعها، وإن وجد التكليف تأتي معونة الله.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"لن يدخل أحدكم الجنة بعمله." قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته".

الأجر أكبر بكثير من العمل، ولا نسبة بينهما، لأن الله شكور. ورغم سهولة التجارة وعظم ربحها، يغفل الكثيرون!

قال تعالى:

{ اسْتَخُوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطٰنُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ } (المجادلة 19)

المال جزء أساسي من الجهاد والعمل الدعوي، حيث تحتاج العديد من المشاريع الإسلامية إلى تمويل لتحقيق أهدافها. الإسلام لا يقتصر على الجهد البدني والنفسي فقط، بل يتطلب أيضاً المال لتحقيق النجاح في الدعوة ونصرة الدين وأهله:

أهل غزة، أهل السودان، الدعاة، المشاريع الدعوية، مسابقات القرآن، رحلات التربية للأولاد، كلها تعتمد على المال.

الكثير من الدعوة متوقفة على التمويل.

مثال من السيرة النبوية

كادت غزوة تبوك أن تتوقف بسبب نقص المال، فبعض الصحابة لم يتمكنوا من الخروج لعدم توفر النفقة. قال تعالى:

{ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ { (التوبة 92)

لكن سيدنا عثمان رضي الله عنه أنقذ الغزوة بماله، فجهز جزءًا كبيرًا من الجيش. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم."

(الآية 12)

{ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }

ثم يأتي الثواب: المغفرة، الجنة، المساكن الطيبة، الفوز العظيم.

{ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }

الفوز ليس منصبًا، ولا مالًا، ولا جاهًا؛ وإلا لكان الفقير والمظلوم محرومين من الفوز! لكن: من دخل الجنة، فقد فاز.

ومن فرط فيها هو الخاسر مهما ملك من الدنيا.

كما قال تعالى:

{ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ { (الزمر 15)

وقال:

{ فَمَنْ زُحِزَحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ { (آل عمران 185)

(الآية 13)

{ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ }

إلى جانب الثواب الأخروي، وعد الله المؤمنين أيضًا بنصر دنيوي، حيث وعدهم بنصر من الله وفتح قريب. تشير الآية إلى أن النفوس تتطلع إلى الأمور الدنيوية، وقد وعدهم الله بتحقيق ذلك. لكن النصر الدنيوي مشروط بالإيمان الصحيح والاستجابة لأوامر الله.

{ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ }

جاء الفعل بصيغة "بشّر" ولم يذكر "بشّرهم"، دلالة على أن النصر مرتبط بقوة الإيمان واستجابة المؤمنين.

النصر قريب، ولكنه للمؤمنين حقًا؛ إيمانًا واستجابةً وعملاً. هذا نداء لتقوية الإيمان والاستجابة لله، فالنصر لا يتحقق إلا لهذه الفئة، مع الأخذ بكل الأسباب.
{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ }
(النور 55)

وعد الله المؤمنين بالاستخلاف والتمكين في الأرض.
(الآية 14)

{ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّنَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّنْتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ }

شرط النصر الإيمان والعمل الصالح

{ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ } (محمد 7)

الطريق إلى النصر يبدأ بالإيمان والعمل الصالح.

كلما استجابت الأمة لله ورسوله واتبعت منهج أهل السنة، اقتربت من النصر. وعندما تخلص الأمة بهذا الشرط، تحرم النصر.

الطريق إلى النصر: نصرة الدين بنفسك وفي التزامك، في استقامتك، في ترك الحرام، وفي الطاعة.
قال تعالى:

{ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِّن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ }
(الأنفال 60)

الأخذ بالأسباب واجب؛ والله هو الموفق فلا نصر إلا بمعونة الله والأخذ بالأسباب

{ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّنَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ }
الحواريون هم خُلَص أتباع عيسى عليه السلام، وسَمَّوا "حواريين" لصفاء قلوبهم ونقايتهم. نسبة إلى "الحَوَر" الذي يدل على شدة البياض والنقاء.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:
«لكل نبي حواري، وإن حواري الزبير بن العوام».

{ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ }

"إلى الله" تعني أن الدعوة لا تقتصر على التوجيه فقط، بل تشمل العمل الجاد لنشر الحق وتعليم الناس دين الله بإخلاص.

الفرق بين:

"كونوا أنصار الله" تعني الاستقامة على الطاعة واتباع العقيدة الصحيحة.

أما "أنصاري إلى الله" تعني الدعوة إلى الله بعد إصلاح النفس.

وهذا يشبه ترتيب سورة العصر الخطوات العملية

{إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} : أنصار الله.

{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ} : أنصار إلى الله.

موقف الحواريين

الحواريون لما اكتملت الصورة في قلوبهم قالوا: "نحن أنصار الله."

فيجب الاقتداء بهم؛ فنخرج من سورة الصف بقرارات واضحة، لا مجرد تلاوة.

الأعمال المترتبة على الآية:

الإقلاع عن الذنب

العزم على التوبة

الاستجابة الدائمة والعمل الدعوي؛ تعليم أولاد، تحفيظ قرآن، إصلاح بين الناس...

فالدعوة هي قيام كل مسلم بواجبه وتواصوا بالحق شرط للنجاة.

قل ذلك بصدق، لا مجرد قول يخالفه العمل، لتجنب الوقوع فيما حذر الله تعالى منه:

{ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ }

اجعل عملك دليلاً على صدقك.

تذكر أن الرجولة الحقيقية ليست في ارتكاب الخطأ، بل في تركه وفعل الصواب.

قلها وأنت واعٍ بكيفية نصرك لربك.

لابد من صلاح الحال، والسعي لإصلاح المجتمع

انقسام بني إسرائيل:

{ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ }

أمنت طائفة بسيدنا عيسى عليه السلام إيماناً صحيحاً، وبذلك بقي فئة موحدة على دين المسيح

حتى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

الطائفة التي كفرت وتشمل:

اليهود الذين كفروا به أصلاً،

ومن بدّل دين المسيح بعد ذلك، فقالوا:

إنه ابن الله، أو ثالث ثلاثة، أو أنه أقنوم من الأقانيم الثلاثة، بحسب اختلاف طوائفهم.

بقاء طائفة على الحق :

حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

«إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا غبر من أهل الكتاب».

ظلت فئة قليلة جداً من أهل الكتاب ثابتة على دين المسيح الحق، حتى ظهور الإسلام.

من دلائل ذلك ما ورد في قصة إسلام سلمان الفارسي، وفيها أخبار كثيرة عن من بقي على الحق من النصارى.

{ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ }

ظاهرين يعني منتصرين.

الإشكال:

الآية تتحدث عن "الظهور" بعد تأييد الله للمؤمنين، لكن هناك أمر يحتاج توضيح:

لم يثبت في التاريخ أن الموحدين من النصارى الذين على الدين الحق انتصروا على أعدائهم لذلك

فسر العلماء أن المقصود بهذه الآية الظهور ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم

تأييد الله للمؤمنين من النصارى ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم لأن:

النبي صلى الله عليه وآمن بعيسى عليه السلام،

اتباعه آمنوا به أيضاً، وكانوا على عقيدة المسيح الحق.

فنصر الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم هو في الحقيقة نصر لعيسى عليه السلام وأتباعه

الموحدين.

كما قال تعالى:

{ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَٰذَا وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ

فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ } (آل عمران 55)

إن كان المقصود ظهور السيف والقوة: * فالذين اتبعوه هم محمد عليه الصلاة والسلام وأمته،

فكان تمكينهم وانتشارهم نصراً لعيسى وأتباعه الموحدين.

أدلة ظهور القوة بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم:

انتصار المسلمين على اليهود:

بني قريظة، بني قينقاع، بني النضير، وانتصارات المسلمين على النصارى المحرّفين في مواقع كثيرة عبر التاريخ.

وهكذا تحقق قوله تعالى:

{ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ }

أما إن كان المقصود ظهور الحجة والبرهان:

فالمؤمنون دائماً ظاهرون بالحجة، لأن الحق لا يُهزم في المناظرة إذا حمله من يفهم دينه حق الفهم.

القرارات بعد ختام السورة:

الإستجابة والعمل، حفظ السورة، الصلاة بها من باب العمل بالعلم، وهذا هو المقصود من تدبر سورة الصف.

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

اللهم تقبل منا هذه الدورة الطيبة.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.